

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصُّ النَّبِيِّينَ

الجزء الثالث

تأليف

أبو الحسن علي أحسن الندوي

مَجْلِسُ نَشْرِ الْإِسْلَامِ

۱-۲-۳ ناظم آباد مینشن

ناظم آباد مل کراچی ۱۸

قَصُّ النَّبِيِّينَ

الجزء الثالث

تأليف
أبو الحسن علي بن الحسين النديم

مجلِسُ نَشْرِ دِيَاغِطِ مُلَّا

۱- ۳۰ ناظم آباد نیش ۰ ناظم آباد ۱ ۰ کراچی ۱۵

الحقوق محفوظة للناشر

جملہ حقوق طباعت و اشاعت پاکستان میں

بحق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں،

لہذا کوئی فرد یا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے،

ورنہ اس کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی،

قصص النبیین (الجزا الثالت)

ابوالحسن علی الحسنی الندوی

شکیل پرنٹنگ پریس - کراچی

۱۶۰ صفحات

نام کتاب

تالیف

طباعت

ضخامت

ناشر

فضلہ ریجہ ندوہ

مجلس نشریات اسلام کے ۳۔ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ۷۔ کراچی ۱۸

بسم الله الرحمن الرحيم

للباحث الداعية الأستاذ سيد قطب

عرفت صاحب هذا الكتيب «السيد أبو الحسن الندوي» .
عرفته في شخصه وفي قلمه . فعرفت فيه القلب المسلم والعقل المسلم ،
وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه جيد للإسلام .
هذه شهادة لله أؤديها ، وأنا أقدم هذه الطبعة من ذلك الكتيب
الصغير .

وقصص النبيين للأطفال - على صغر حجمه - عمل جليل يضاف
إلى أعمال السيد أبي الحسن وإخوانه الأفاضل في حقل الدعوة الإسلامية .
فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته
النقية ، بل إن قلوب الصغار لأجوج إلى هذا الغذاء ، ليشبوا وطعم
الإيمان في نفوسهم ، ونوره في قلوبهم ، وبشاشته في أرواحهم ،
والقصص هي المادة الأولى التي تفتح لها تلك القلوب الصغيرة البريئة .
وهذا الكتيب - وإن كان مكتوباً للصغار - إلا أنني أعتقد
أن الكثيرين من الكبار في حاجة إلى أن يقرأوه . فالكثيرون لم يتح
لهم تعليمهم الذي سيطر عليه الاستعمار وهيمن عليه التبشير ، أن

يعرفوا شيئاً عن قصص القرآن الكريم ، ومراميه العميقة ، وجوه الإيمان في التهذيبي المؤثر ، كما هو معروض في هذا الكتيب .

ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال — بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام — وشاركت في تأليف مجموعة « القصص الديني للأطفال » في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم . ولكنني أشهد في غير مجاملة — أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي ، جاء أكمل من هذا كله . وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها ، ومن تعليقات داخلية في ثنايا القصة ، ولكنها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر ، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار .

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً ، وزاده توفيقاً ، وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف والأعاصير ، وتنتثر في طريقها الأشواك ، وتعلم من حولها الظلمات ، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية ، والإخلاص في حياتها ورعايتها . وعلى الله التوفيق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - من كنعان إلى مصر

انْتَقَلَ يَعْقُوبُ « عَلَيْهِ السَّلَامُ » إِلَى مِصْرَ
وَانْتَقَلَ مَعَهُ أَوْلَادُهُ .

انْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ لِأَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ
« عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » هُوَ سَيِّدُ مِصْرَ ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى
فِيهَا .

وَكَانُوا فِي كَنْعَانَ يَرْعَوْنَ الْغَنَمَ وَيَحْلِبُونَ
الشَّاءَ وَيَبِيعُونَ الصُّوفَ .

وَعَبِيدُ يُوسُفَ وَخَدَمُهُ يَأْكُلُونَ وَيَنْعَمُونَ فِي

مِصْرَ !

فَمَا يَصْنَعُونَ فِي كَنْعَانَ ؟ وَلِمَازَا لَا يَذْهَبُونَ

إِلَى مِصْرَ ؟

أَرْسَلَ يُوسُفُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَهْلِهِ وَطَلَبَهُمْ

مِنْ كَنْعَانَ

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ

حَتَّى يَرَى أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ .

وَكَيفَ يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ ، وَكَيفَ

يَطِيبُ لَهُ عَيْشٌ وَهُوَ وَحِيدٌ فِي مِصْرَ ؟

وَمَاذَا يَصْنَعُ بِالْقُصُورِ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ فِي بَيْتِ

صَغِيرٍ فِي كَنْعَانَ ؟ !

وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ

يُوسُفُ وَفَرِحَ بِهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا .

وَاسْتَقْبَلَتْ مِصْرُ أُسْرَةَ سَيِّدِهَا وَأُسْرَةَ مَلِكِهَا

الْكَرِيمَ وَفَرِحَتْ بِهَا فَرَحًا عَظِيمًا .
 وَأَحَبَّ أَهْلُ مِصْرَ هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمَ ،
 لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ يُوسُفَ لِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ .
 وَلِأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي يُوسُفَ أَخًا نَاصِحًا شَفِيقًا ،
 فَرَأَوْا فِي يَعْقُوبَ وَالِدًا مَاجِدًا كَرِيمًا .
 وَكَانَ يَعْقُوبُ كَبِيرَ الْبِلَادِ ، وَشَيْخَ مِصْرَ ،
 وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ لَهُ كَالْأَبْنَاءِ .
 وَطَابَتْ لِيَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ الْإِقَامَةُ فِي مِصْرَ
 وَصَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا .

٢ — بعد يوسف

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يَعْقُوبَ فَحَزَنَ عَلَيْهِ يُوسُفُ
 وَحَزَنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ .

وَدَفَنُوا الشَّيْخَ فِي مِصْرَ وَكَانَهُمْ فَقَدُوا أَبَاهُمْ .
وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يُوسُفُ أَيْضاً فَكَانَ يَوْماً
عَلَى أَهْلِ مِصْرَ شَدِيداً .

وَحَزَنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ حُزْناً شَدِيداً وَبَكَوا عَلَيْهِ
بُكَاءً طَوِيلًا .

وَنَسِيَ النَّاسُ أَحْزَانَهُمْ وَكَانَهُمْ لَمْ تُصِيبْهُمْ
مُصِيبَةٌ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ .

وَدَفَنُوا يُوسُفَ أَيْضاً وَعَزَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
فَكَانُوا فِي يُوسُفَ سَوَاءً .

كُلُّ صَغِيرٍ فَقَدَ أَبَاهُ وَكُلُّ كَبِيرٍ فَقَدَ أَخَاهُ .

وَمَشَى النَّاسُ إِلَى إِخْوَةِ يُوسُفَ وَأَبْنَائِهِمْ
يَعْزُونَهُمْ .

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَيُّهَا السَّادَةُ! لَيْسَتْ خَسَارَتُكُمْ

الْيَوْمَ أَكْبَرَ مِنْ خَسَارَتِنَا نَحْنُ .
 فَقَدْ فَقَدْنَا فِي دَفِينِ الْيَوْمِ أَخًا شَفِيقًا ،
 وَسَيِّدًا رَحِيمًا وَمَلِكًا عَادِلًا .
 هُوَ الَّذِي أَرَّاحَ الْعِبَادَ ، وَأَزَالَ الظُّلْمَ مِنَ
 الْبِلَادِ .

هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْكَبِيرَ يَظْلِمُ الصَّغِيرَ ، وَمَنَعَ
 الْقَوِيَّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ .
 هُوَ الَّذِي أَغَاثَ الْمَظْلُومَ وَأَجَارَ الْخَائِفَ
 وَأَطْعَمَ الْجَائِعَ .

هُوَ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ وَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ
 وَكُنَّا قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِائِمَ لَا نَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُ
 الْآخِرَةَ .

هُوَ الَّذِي أَغَاثَنَا أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فَكُنَّا نَأْكُلُ

وَنَشْبَعُ ، وَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى .
 إِنَّا لَا نَنْسَى مَلِكَنَا الْكَرِيمَ أَبَدًا وَلَا نَنْسَى
 أَيُّهَا السَّادَةُ أَنَّكُمْ إِخْوَتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ .
 وَكَمْ فَرَحَ بِكُمْ سَيِّدُنَا يَوْمَ قُدُومِكُمْ إِلَى
 مِصْرَ وَكَمْ فَرَحْنَا بِفَرَحِ سَيِّدِنَا .
 فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ ، وَإِنَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ
 كَمَا كُنَّا فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا .

٣ - بنو اسرائيل في مصر

وَهَكَذَا كَانَ مُدَّةً طَوِيلَةً !
 فَقَدْ حَفِظَ أَهْلُ مِصْرَ مَا قَالُوا وَعَرَفُوا
 لِلْكَنْعَانِيِّينَ الْفَضْلَ .
 وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا

يُدْعَوْنَ « بَنِي إِسْرَائِيلَ » أَصْحَابَ شَرَفٍ
وَأَمْوَالٍ .

وَلَكِنْ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَدْ
فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَتَرَكُوا الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ
وَدُعَاءَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ، وَسَقَطُوا عَلَى الدُّنْيَا .

وَتَغَيَّرَ لَهُمُ النَّاسُ أَيْضاً وَصَارُوا يَنْظُرُونَ
إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى آبَائِهِمْ .

وَصَارُوا كَسَائِرِ النَّاسِ، لَا يَمْتَّازُونَ عَنِ
النَّاسِ إِلَّا بِالنَّسَبِ .

وَصَارَ النَّاسُ يَحْسُدُونَ الْغَنِيَّ مِنْهُمْ
وَيَحْتَقِرُونَ الْفَقِيرَ مِنْهُمْ .

وَصَارَ أَهْلُ مِصْرَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كَغَرِيبٍ
جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ .

وَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي مِصْرَ .
 وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ
 الْبِلَادِ وَأَنَّ مِصْرَ لِلْمِصْرِيِّينَ .
 وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ
 غَرِيباً جَاءَ مِنْ كَنْعَانَ .
 وَاشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ .
 وَلَيْسَ لِلْكَنْعَانِيِّ أَنَّ يَحْكُمَ مِصْرَ .
 وَنَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَضْلَ يُوسُفَ وَكَرَمَهُ
 وَإِحْسَانَهُ .

٤ - فرعون مصر

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فِرْعَوْنُ «مَلُوكُ
 مِصْرَ» يُبْغِضُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بُغْضاً شَدِيداً .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا .
فَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ
الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّهُمْ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ مَلِكِ مِصْرَ
الْكَرِيمِ .

بَلْ كَانَ لَا يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يَسْتَحِقُّونَ
الرَّحْمَةَ وَالْإِنْصَافَ .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جَدًّا .
وَكَانَ يَرَى أَنَّ قَوْمَهُ « الْقَبِطَ » مِنْ نَوْعٍ وَأَنَّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .

الْقَبِطُ مِنْ نَوْعِ الْمُلُوكِ خُلِقُوا لِيَحْكُمُوا .
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعِ الْعَبِيدِ خُلِقُوا
لِيَخْدِمُوا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةً

الْحَمِيرِ وَالذَّوَابِّ يَسْتَخْدِمُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا يُعْطِيهَا
إِلَّا قُوَّةَ يَوْمِهَا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكًا جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا لَا يَرَى
فَوْقَهُ أَحَدًا .

وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ بَلْ كَانَ يَقُولُ: « أَنَا
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » .

وَكَانَ مَغْرُورًا بِمُلْكِهِ وَقُصُورِهِ وَقُوَّتِهِ
وَيَقُولُ: « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » .

وَكَأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً لِنَمْرُودَ مَلِكِ بَابِلَ .
وَكَانَ يَغْضَبُ إِذَا عَلِمَ أَحَدًا يَرَى فَوْقَهُ
أَحَدًا .

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ،

وَأَطَاعَهُ النَّاسُ .

وَامْتَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَيُؤْمِنُونَ بِرُسُلِهِ وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ .

هـ - ذبح الأطفال

وَذَهَبَ كَاهِنٌ قِبْطِيٌّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ :
« يُؤَلَّدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ
مَلِكُكَ عَلَى يَدِهِ » .

وَجُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ، وَأَمَرَ الشُّرْطَةَ أَنْ
يَذْبَحُوا كُلَّ مَوْلُودٍ يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .
وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرَى أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ يَذْبَحُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَتْرِكُ مَنْ يَشَاءُ .

كَصَاحِبِ الْغَنَمِ يَذْبَحُ مِنْ غَنَمِهِ مَا يَشَاءُ
وَيَتْرُكُ مَا يَشَاءُ .

وَانْتَشَرَتِ الشُّرْطَةُ فِي مِصْرَ يُفْتَشُونَ وَيَبْحَثُونَ
فَإِذَا عَلِمُوا مَوْلُوداً وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ كَمَا تُذْبَحُ النَّعْجَةُ .

وَعَاشَتِ الذُّنَابُ فِي الْغَابَةِ وَعَاشَتِ الْحَيَّاتُ
وَالْعَقَّارِبُ فِي الْبَلَدِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا أَحَدٌ .

وَلَكِنْ مَا كَانَ لِمَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَنْ يَعِيشَ فِي مَمْلَكَةٍ فِرْعَوْنَ .

وَذُبِحَ أُلُوفٌ مِنَ الْأَطْفَالِ أَمَامَ آبَائِهِمْ
وَأُمَمَّاتِهِمْ .

وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي
إِسْرَائِيلَ يَوْماً عَسِيراً .

وَكَانَ يَوْمَ حُزْنٍ وَبُكَاءٍ .
 وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي
 إِسْرَائِيلَ يَوْمَ تَغْزِيَةِ وَرِثَاءٍ .
 وَكَانَ يُذْبَحُ مِثَاتٌ مِنَ الْأَطْفَالِ فِي يَوْمٍ
 وَاحِدٍ كَعِيدِ الْأَضْحَى .
 يُذْبَحُ فِيهِ مِثَاتٌ مِنَ الْغَنَمِ وَالنَّعَاجِ
 وَالْبَقَرِ .

« إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
 شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ
 وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

٦ - ولادة موسى

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَخَافُهُ

وَيَحْذَرُهُ .

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ
مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ .

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ
خَلَّاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِهِ .

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ
يُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ .

وُلِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ
يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وُلِدَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَى رَغْمِ فِرْعَوْنَ
وَجُنُودِهِ

وَعَلَّشَ مُوسَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى رَغْمِ
الشُّرْطَةِ وَرَقَابَتِهِمْ .

٧ - في النيل

وَلَكِنْ خَافَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَى مَوْلودِهَا
الْجَمِيلِ ، وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَعَدُوَّ الْأَطْفَالِ
بِمِرْصَادٍ ؟ .

وَكَيفَ لَا تَخَافُ وَقَدْ اخْتَطَفَتِ الشُّرْطَةُ
عَشْرَاتٍ مِنَ الْأَطْفَالِ مِنْ حِجْرِ الْأُمّهَاتِ فِي
أُسْرَتِهَا .

مَاذَا تَصْنَعُ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ ، وَأَيْنَ تُخْفِي
هَذَا الْمَوْلُودَ الْجَمِيلَ وَالشُّرْطَةُ لَهُمْ عَيْنُونَ
الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ .

هُنَالِكَ أَغَاثَ اللَّهُ الْأُمَّ الْمِسْكِينَةَ وَالْهَمَهَا
أَنْ تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيَهُ فِي النَّيْلِ .
اللَّهُ أَكْبَرُ ! كَيْفَ تَضَعُ الْأُمُّ الْحَنُونَ ظِفْلَهَا

فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيهِ فِي النَّيْلِ ؟ !
 مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ فِي الصُّنْدُوقِ ؟ وَكَيْفَ
 يَتَنَفَّسُ الطِّفْلُ فِي الصُّنْدُوقِ ؟ !
 كُلُّ ذَلِكَ فَكَّرَتْ الْأُمُّ الْحَنُونُ وَلَكِنَّهَا
 تَوَكَّلَتْ عَلَى اللَّهِ وَاعْتَمَدَتْ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ .
 وَلَيْسَ الْبَيْتُ أَحْفَظَ لِلطِّفْلِ مِنَ الصُّنْدُوقِ !
 هُنَا الشَّرْطَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَعَدُوُّ الْأَطْفَالِ
 بِمِرْصَادٍ .

وَالشَّرْطَةُ لَهُمْ عَيْنُ الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ .
 وَفَعَلَتِ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ مَا أَمَرَهَا اللَّهُ
 وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا الْجَمِيلَ فِي صُنْدُوقٍ وَأَلْقَتْهُ
 فِي النَّيْلِ .

وَجَزَعَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ ثُمَّ صَبَرَتْ وَتَوَكَّلَتْ

عَلَى اللَّهِ .
 « وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا
 خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي
 إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

٨ - فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ

كَانَ فِرْعَوْنُ لَهُ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ
 النَّيْلِ .

وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَيَتَنَزَّهُ عَلَى
 شَاطِئِ النَّيْلِ .

وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ
 يَتَنَزَّهُ وَيَرَى إِلَى النَّهْرِ يَجْرِي تَحْتَ رِجْلَيْهِ .
 وَكَانَتْ مَعَهُ مَلَكَهُ مِصْرَ تَتَنَزَّهُ مَعَ الْمَلِكِ

وَتَرَى إِلَى النَّيْلِ يَجْرِي وَبَيْنَمَا يَتَنَزَّهَانِ إِذْ وَقَعَ
بَصَرُهُمَا عَلَى صُنْدُوقٍ تَلْعَبُ بِهِ أَمْوَاجُ النَّيْلِ
كَأَنَّمَا تُقْبِلُهُ .

هَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي ذَلِكَ الصُّنْدُوقَ ؟
أَيْنَ الصُّنْدُوقُ فِي النَّيْلِ ؟ إِنََّّمَا هِيَ خَشَبَةٌ
سَقَطَتْ فِي النَّيْلِ .

لَا يَا سَيِّدِي إِنََّّمَا هُوَ صُنْدُوقٌ !
وَقُرْبَ الصُّنْدُوقِ ، فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ
هَذَا صُنْدُوقٌ !

وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَحَدَ الْخَدَمِ ، وَقَالَ : إِلَيْكَ
هَذَا الصُّنْدُوقُ !

وَذَهَبَ الْخَادِمُ وَأَخْرَجَ الصُّنْدُوقَ !
وَفُتِحَ الصُّنْدُوقُ فَإِذَا فِيهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ

يَتَسِمُ .

وَتَحِيرَ النَّاسُ ، كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيَرَاهُ .
وَتَحِيرَ فِرْعَوْنُ وَرَاهُ .

قَالَ بَعْضُ الْخَدَمِ ، إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ
إِسْرَائِيلِيٌّ وَلَا بُدَّ لِلْمَلِكِ أَنْ يَذْبَحَهُ .
وَرَأَتْهُ الْمَلِكَةُ ، وَدَخَلَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهَا
فَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَقَبَّلَتْهُ .

وَشَفَعَتْ لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَقَالَتْ : « قُرَّةُ
عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ
وَلَدًا » .

وَهَكَذَا دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَ
فِرْعَوْنَ ، وَعَاشَ عَلَى رِغْمِ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

وَلَمْ يَهْتَدِ الشُّرْطَةُ إِلَى هَذَا الْمَوْلُودِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ،

وَلَهُمْ عِيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .
 وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرِيَّ فِرْعَوْنَ « عَدُوَّ الْأَطْفَالِ »
 طِفْلاً يَذْهَبُ مُلْكُهُ عَلَى يَدِهِ .
 مِسْكِينُ فِرْعَوْنَ ! لَقَدْ أَخْطَأَ فِي شَأْنِ مُوسَى .
 وَقَدْ أَخْطَأَ مَعَهُ وَزِيرُهُ هَامَانَ وَجُنُودُهُ .
 « وَالتَّقَظَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
 وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
 خَاطِئِينَ » .

٩ - من يرضع الطفل؟؟

وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَدِيدُ وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَمِيلُ
 لُعْبَةَ الْقَصْرِ وَهُوَ الدَّارُ .
 كُلُّ يَأْخُذُهُ وَيُقْبَلُهُ ، وَكُلُّ يُحِبُّهُ وَيَمْدَحُهُ ،

لَأَنَّ الْمَلِكَةَ تُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا .
 فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ سَيِّدَاتُ الْقَصْرِ وَكَيْفَ
 لَا يُحِبُّهُ خَدَمُ الْقَصْرِ .
 وَكُلُّهُ يَأْخُذُهُ وَيُقْبِلُهُ ، لَأَنَّ الطِّفْلَ جَمِيلٌ .
 وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا تُرْضِعُ الطِّفْلَ ،
 وَجَاءَتْ وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي
 وَيَأْبَى .

وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعًا أُخْرَى ، وَحَضَرَتْ
 وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ ، وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَى .
 وَثَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ وَخَامِسَةٌ وَلَكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي
 وَيَأْبَى .

عَجَبًا ! لِمَاذَا لَا يَرْتَضِعُ الطِّفْلُ ، لِأَيِّ شَيْءٍ
 يَبْكِي ؟

اجْتَهَدَتِ الْمُرَاضِعُ أَنْ تُرْضِعَ الطِّفْلَ لِتُسَرَّ
 الْمَلِكَةُ وَتَنَالَ مِنْهَا جَائِزَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ
 الْمُرَاضِعَ .

وَأَصْبَحَ الطِّفْلُ حَدِيثَ الْقَصْرِ وَشُغْلَ الدَّارِ .
 هَلْ رَأَيْتِ يَا أُخْتِي الطِّفْلَ الْجَدِيدَ ؟

نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُهُ ؛ طِفْلٌ جَمِيلٌ جَدًّا .
 وَلَكِنَّهُ طِفْلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ كَالْأَطْفَالِ ! إِنَّهُ
 لَا يَرْتَضِعُ .

وَإِذَا أَخَذَتْهُ مُرْضِعٌ يَبْكِي وَيَأْبَى أَنْ
 يَرْتَضِعَ ، مِسْكِينٌ كَيْفَ يَعِيشُ ؟ إِنَّهُ يَمُوتُ .
 نَعَمْ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَمْ يَرْتَضِعْ .

١٠ - في حجر أمه

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ لِأُخْتِ مُوسَى :
 اِذْهَبِي يَا بِنْتِي وَأَنْظُرِي أَخَاكِ لَعَلَّهُ حَيٌّ .
 إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يُرُدُّ الطِّفْلَ إِلَيَّ وَأَنَّهُ
 يَحْفَظُهُ .

وَذَهَبَتْ أُخْتُ مُوسَى تَبْحَثُ عَنْ أَخِيهَا .
 وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طِفْلِ جَمِيلٍ
 فِي قَصْرِ الْمَلِكِ .

ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ وَوَقَفَتْ تَسْمَعُ حَدِيثَ النِّسَاءِ
 فِي الْقَصْرِ .

هَلْ جَاءَتِ الْمَرْضَعُ الَّتِي طَلَبَهَا الْمَلِكَةُ مِنْ
 أَسْوَانَ؟

نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي، وَلَكِنَّ الطِّفْلَ أَبَى أَيْضاً

وَلَمْ يَرْتَضِعْ .

يَا سَلَامُ ! مَا شَأْنُ هَذَا الطِّفْلِ ؟ لَعَلَّ هَذِهِ
هِيَ السَّادِسَةُ الَّتِي جَرَّتْهَا الْمَلَكَةُ .

نَعَمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مُرَضِعٌ نَظِيفَةٌ جِدًّا وَكُلُّ
يَرْتَضِعُ مِنْهَا .

سَمِعَتْ أُخْتُ مُوسَى هَذَا الْكَلَامَ وَقَالَتْ
بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ :

أَنَا أَعْرِفُ امْرَأَةً فِي الْبَلَدِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَضِعَ
مِنْهَا الطِّفْلُ .

قَالَتْ امْرَأَةٌ : أَنَا لَا أَصَدِّقُ قَدْ جَرَّئْنَا سِتَّ
مَرَضِعَ وَلَكِنَّ الطِّفْلَ لَمْ يَرْتَضِعْ .

قَالَتْ أُخْرَى : وَلِمَاذَا لَا تُجَرِّبُ السَّابِعَةَ ، مَاذَا
عَلَيْنَا ؟

وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَلِكَةِ فَطَلَبَتِ الْجَارِيَةَ
وَقَالَتْ:

« إِذْهَبِي وَخُذِي مَعَكَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ » .
وَجَاءَتْ أُمُّ مُوسَى ، وَجَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَدَّمَتْ
إِلَيْهَا مُوسَى .

فَاعْتَنَقَ الطِّفْلُ الْمَرْأَةَ وَأَقْبَلَ يَرْضِعُ ، كَأَنَّهُ
كَانَ مِنْهَا عَلَى مِيعَادٍ .
وَلِمَاذَا لَا يَرْضِعُ وَهِيَ أُمُّهُ الْحَنُونُ ؟ !
وَلِمَاذَا لَا يَرْضِعُ وَهُوَ جَائِعٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ ؟ !

وَعَجِبَتِ الْمَلِكَةُ وَعَجِبَ أَهْلُ الْقَصْرِ
وَارْتَابَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ : لِمَاذَا قَبِلَ هَذَا الطِّفْلُ هَذِهِ
الْمَرْأَةَ فَهَلْ هِيَ أُمُّهُ ؟

قَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ: يَا سَيِّدِي أَنَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ
الرِّيحِ طَيِّبَةُ اللَّبَنِ كُلُّ طِفْلٍ يَقْبَلُنِي .
وَسَكَتَ فِرْعَوْنُ وَأَجْرَىٰ عَلَيْهَا رِزْقًا .
وَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَىٰ إِلَىٰ بَيْتِهَا فِي حِجْرِهَا
مُوسَىٰ .

« فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ » .

١١ - إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ !

وَلَمَّا أَتَمَّتْ أُمُّ مُوسَىٰ رِضَاعَتَهُ رَدَّتْهُ إِلَى الْقَصْرِ .
وَنَشَأَ مُوسَىٰ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ كَمَا يَنْشَأُ
أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ .

وَهَكَذَا زَالَتْ مِنْ قَلْبِ مُوسَى مَهَابَةُ الْمُلُوكِ
وَالْأَغْنِيَاءِ .

وَرَأَى مُوسَى بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ يَنْعَمُ فِرْعَوْنُ
وَأَهْلُهُ .

وَكَيْفَ يَشْقَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَنْعَمَ فِرْعَوْنُ
وَأَهْلُهُ .

وَكَيْفَ يَجُوعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِتَشْبَعَ دَوَابُّ
فِرْعَوْنَ .

وَكَيْفَ يُعَامِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ
وَالدَّوَابِّ .

وَكَيْفَ يَسْتَخْدِمُونَهُمْ وَيُسَوِّمُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

وَكَانَ مُوسَى يَرَى ذَلِكَ صَبَاحَ مَسَاءٍ
وَيَسْكُتُ .

وَلَكِنْ كَانَ مُوسَى يَغِيظُهُ ذَلِكَ .
 وَكَيْفَ لَا يَغِيظُهُ إِهَانَةُ قَوْمِهِ وَأُسْرَتِهِ .
 وَهُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ .
 وَمَا ذَنْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، الْأَنْتَهُمْ لَيْسُوا أَقْبَاطًا ؟ !
 الْأَنْتَهُمْ مِنْ كَنْعَانَ ؟ !
 هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ ! هَذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ !

١٢ - الضربة القاضية

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى شَابًّا قَوِيًّا آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا
 وَعِلْمًا .

وَكَانَ مُوسَى يُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَيَكْرَهُهُمْ ،
 وَيُحِبُّ الضُّعَفَاءَ وَالْمُظْلُومِينَ وَيَنْصُرُهُمْ وَكَذَلِكَ
 كُلُّ نَبِيٍّ .

وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً وَالنَّاسُ فِي
كُفْرٍ وَشُغْلٍ .

وَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَهَذَا مِنَ الْأَقْبَاطِ . أَعْدَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَصَرَخَ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَنَادَى مُوسَى لِنَصْرِهِ
وَشَكَى الْقِبْطِيَّ .

وَغَضِبَ مُوسَى فَضَرَبَ الْقِبْطِيَّ ، فَكَانَتْ
الْقَاضِيَّةُ .

وَمَاتَ الْقِبْطِيُّ وَنَدِمَ مُوسَى جِدًّا وَعَرَفَ
أَنَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

فَتَابَ مُوسَى إِلَى اللَّهِ وَأَنَابَ وَكَذَلِكَ كُلُّ
نَبِيٍّ .

« قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ

مُضِلُّ مُبِينٌ .

وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، لِأَنَّ مُوسَى لَمْ
يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ ، يَلْ ضَرَبَهُ وَلَكِنَّهَا
كَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

وَحَمِدَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ
عَلَيَّ وَغَفَرَ لِي « فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ » .
وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وَيَحْذَرُ
مَتَى تَجِيئُهُ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عِيُونُ الْغُرَابِ
وَشَامَةُ النَّمْلِ .

وَأَصْبَحَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ مَتَى تَجِيئُهُ الشُّرْطَةُ
وَيَأْخُذُونَهُ إِلَى الْجَبَّارِ .

وَرَأَى الشُّرْطَةُ قَتِيلًا قِبْطِيًّا مِنْ خَدَمِ فِرْعَوْنَ
فَفَتَّشُوا عَنِ الْقَاتِلِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ .

وَمَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْقَاتِلِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا
 مُوسَى وَالْإِسْرَائِيلِيُّ ؟ !
 وَأَصْبَحَ الْقَتِيلُ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَشُغْلَ الْمَدِينَةِ ،
 كُلُّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَلَا يَعْلَمُ قَاتِلَهُ .
 وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ لِلشُّرْطَةِ : لَا بُدَّ أَنْ
 تَفْتَشُوا عَنْ الْقَاتِلِ .

١٣ - يظهر السر

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَرَى مُوسَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ
 فِي قِتَالٍ وَخِصَامٍ مَعَ قِبْطِيٍّ آخَرَ .
 وَمَا اسْتَحَى الْإِسْرَائِيلِيُّ بَلْ صَرَخَ وَنَادَى
 مُوسَى لِنُصْرَتِهِ .
 قَالَ مُوسَى إِنَّكَ رَجُلٌ وَقِحٌ ، أَلَا تَزَالُ فِي

قِتَالٍ وَجِدَالٍ مَعَ النَّاسِ وَلَا تَزَالُ تَصْرُخُ
وَتُنَادِيَنِي .

أَلَا أَزَالُ أَنْصُرُكَ وَأُسَاعِدُكَ « إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
مُبِينٌ » .

وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُدَبِّ الْقِبْطِيَّ قَلِيلًا
وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا .

وَرَأَى الْإِسْرَائِيلِيُّ غَضَبَ مُوسَى وَسَمِعَ مَلَامَهُ .
وَخَافَ أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسَى فَتَكُونَ الْقَاضِيَةَ ،
كَمَا ضَرَبَ الْقِبْطِيَّ فَكَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

« فَقَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا
قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ »
هُنَالِكَ عَرَفَ الْقِبْطِيُّ أَنَّ مُوسَى هُوَ

قَاتِلُ أَمْس .

وَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ وَأَخْبَرَ الشُّرْطَةَ بِأَنَّ مُوسَى
هُوَ الْقَاتِلُ .

وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَقَالَ :
أَذَلِكَ الْفَتَى رَبِيبُ الْقَصْرِ وَرَضِيعُ الْمُلْكِ ؟
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّى مُوسَى مِنْ
شَرِّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

إِنَّ مُوسَى لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ
بَلْ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَانَتْ الْقَاضِيَةَ .

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتَهُ لَا يُسَلِّمُونَ ذَلِكَ
وَلَا يَقْبَلُونَ لِمُوسَى عُذْرًا .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ
عَلَى يَدِ مُوسَى ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ

خَلَّاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِ مُوسَى .
 إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يُخْرِجَ مُوسَى النَّاسَ
 مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .
 وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ يَدُ
 الشُّرْطَةِ الظَّالِمِينَ .

وَكَانَ رِجَالُ فِرْعَوْنَ وَوُزَرَؤُهُ يَتَشَاوَرُونَ
 وَيَعْزِمُونَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى .
 وَكَانَ رَجُلٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ وَيَعْرِفُهُ
 فَجَاءَ إِلَى مُوسَى وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ وَقَالَ :
 « أَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ » .
 « فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ
 نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

١٤ — من مصر إلى مدين

وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى ، وَمِصْرُ
كُلُّهُ مَمْلَكَةٌ لِفِرْعَوْنَ ؟ !

وَشُرْطَةُ فِرْعَوْنَ بِالْمِرْصَادِ ، وَلَهُمْ عُيُونُ
الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ !

أَلْهَمَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَدِينِ
الْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ ، حَيْثُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ فِرْعَوْنَ .
إِنَّ مَدِينَ بَادِيَّةٍ وَقُرَى لَيْسَ فِيهَا مَدِينَةٌ مِصْرَ .
وَلَيْسَ فِيهَا قُصُورُ مِصْرَ وَأَسْوَاقُ مِصْرَ .
وَلَكِنَّهَا بِلَادٌ سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ
فِرْعَوْنَ

وَأَنَّهَا سَعِيدَةٌ لِأَنَّهَا بِلَادٌ حُرَّةٌ لَيْسَتْ
تَحْتَ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .

يَا حَبْدَا الْبَدَاوَةَ مَعَ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ .
 وَيَا شَقَاوَةَ الْمَدِينَةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .
 هُنَالِكَ يُصْبِحُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ
 فِرْعَوْنَ وَقَهْرَهُ .

وَهُنَالِكَ يَبِيتُ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَخَافُ شُرْطَةَ
 فِرْعَوْنَ وَشَرَّهُ هُنَالِكَ لَا تُذْبَحُ الْأَبْنَاءُ .
 قَصَدَ مُوسَى مَدِينَ . وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ
 خَائِفًا يَتَرَقَّبُ أَتْبَعَهُ أَحَدٌ وَلَكِنْ نَامَ عَنْهُ
 الشُّرْطَةُ .

خَرَجَ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ
 وَيَطْلُبُ مِنْهُ النَّصْرَ .
 « وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي
 أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » .

في مدين

وَصَلَ مُوسَى إِلَى مَدْيَنَ، لَا يَعْرِفُ
أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ .

فَمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ؟ وَأَيْنَ يَبِيتُ؟
تَحِيرَ مُوسَى وَلَكِنَّهُ أَتَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُهُ!
وَكَانَ هُنَالِكَ بَثْرٌ يَسْقِي عَلَيْهَا النَّاسُ
غَنَمَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ .

وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا وَتَنْتَظِرَانِ
أَنْ يَسْقِيَ النَّاسُ فَتَسْقِيَا .

رَأَى مُوسَى ذَلِكَ وَفِي قَلْبِهِ حَنَانُ الْكَرِيمِ
وَشَفَقَةُ الْأَبِ الرَّحِيمِ .

فَقَالَ: لِمَذَا لَا تَسْقِيَانِ؟

قَالَتَا: لَا يُمَكِّنُ لَنَا أَنْ نَسْقِيَ غَنَمَنَا حَتَّى

يَسْقِي النَّاسَ، لَأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ. وَنَحْنُ ضُعَفَاءُ،
وَلَأَنَّهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ إِنَاثٌ .

وَكَانَمَا عَرَفْتَا أَنَّ مُوسَى سَيَسْأَلُهُمَا : فَلَمَّا ذَا
لَا يَسْقِي أَحَدٌ مِنْ رِجَالٍ يَتَكُنُّ ؟

فَسَبَقْتَا وَقَالَتَا : « وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ » .
وَهَاجَ فِي مُوسَى حَنَانُ الْكَرِيمِ وَسَقَى
لَهُمَا وَذَهَبَتَا .

وَأَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَى الْآنَ ؟ !
وَإِلَى أَيْنَ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ وَأَيْنَ يَبِيتُ ؟ !
إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَحَدًا وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ !
« ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » .

١٦ — الطلب

وَوَصَلَتِ الْجَارِيتَانِ إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ الْمِيعَادِ
 فَتَعَجَّبَ أَبُوهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ .
 وَقَالَ لُهُمَا : مَا أَغْجَلَكُمَا يَا بَنَتَيَّ ، وَكَيْفَ
 وَصَلْتُمَا الْيَوْمَ قَبْلَ الْمِيعَادِ ؟

قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ : قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا رَجُلًا
 كَرِيمًا سَقَى لَنَا .

تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَعَرَفَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ
 لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَرْحَمْنِ يَوْمًا .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيْنَ تَرَكْتُمَا الرَّجُلَ ؟
 قَالَتَا : تَرَكْنَاهُ فِي مَكَانِهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ
 لَيْسَ لَهُ مَأْوَى !

قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنْتُمَا يَا بَنَتَيَّ ، رَجُلٌ

غَرِيبٌ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَلَيْسَ لَهُ مَأْوَى فِي
الْبَلَدِ .

إِلَى مَنْ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ ، وَأَيْنَ بَيْتُ ؟ !
إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الضِّيَافَةِ ، وَإِنَّ لَهُ عَلَيْنَا
حَقَّ الْإِحْسَانِ !
لِتَذْهَبْ إِحْدَاكُمَا وَتَأْخُذْهُ مَعَهَا .

« وَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ
قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا » .

وَعَرَفَ مُوسَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُ
وَبَوَّأَ لَهُ ، فَمَا أَبِي .

وَخَرَجَ مُوسَى أَمَامَهَا لِئَلَّا يَقَعَ نَظْرُهُ
عَلَيْهَا ، وَمَشَى مُوسَى مَشْيَ الْكَرَامِ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ سَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ
وَوَطْنِهِ وَخَبْرِهِ .

وَأَخْبَرَ مُوسَى خَبْرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ .
سَمِعَ الشَّيْخُ كُلَّ ذَلِكَ بِصَبْرٍ وَهَلُوءٍ ،
وَلَمَّا انْتَهَى مُوسَى مِنْ قِصَّتِهِ .

« قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ » .

١٧ — الزواج

وَأَقَامَ مُوسَى عِنْدَهُمْ مَقَامَ ضَيْفٍ كَرِيمٍ ،
بَلْ حَلَّ مِنْهُمْ مَحَلَّ الْوَلَدِ الْغَزِيرِ .
وَقَالَتْ سَيِّدَةُ لِوَالِدِهَا يَوْمًا فِي بَسَاطَةٍ
وَطَهَارَةٍ .

« يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » .

قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا عِلْمُكَ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ
يَا بَنِي؟

قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَلِأَنَّهُ رَفَعَ الْغِطَاءَ عَنِ
الْبَشْرِ وَحْدَهُ، وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ .

وَأَمَّا أَمَانَتُهُ يَا أَبْتَ فَلِأَنَّهُ مَشَى أَمَامِي لَا
يَنْظُرُ إِلَيَّ طُولَ الطَّرِيقِ .

وَلَا بُدَّ لِلْأَجِيرِ وَلَا بُدَّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَكُونَ
قَوِيًّا أَمِينًا .

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا ضَعَفَ عَنِ الْعَمَلِ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِينًا لَمْ تَنْفَعْنَا قُوَّتُهُ مَعَ
خِيَانَتِهِ .

وَوَافَقَ كَلَامُ السَّيِّدَةِ هَوَى فِي قَلْبِ
الشَّيْخِ وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَوَالِدٍ .
وَفَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَشَيْخٍ عَاقِلٍ .

قَالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ : مَنْذَا يَكُونُ أَحَقُّ
مِنْ هَذَا الْفَتَى بِأَنْ يَكُونَ صِهْرًا لِي .
وَأَيْنَ أَجْدُ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ هَذَا
الشَّابِّ ؟ !

أَمَّا فِي مَدِينَةٍ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَهْلًا لِذَلِكَ !
وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَ إِلَيَّ هَذَا الْفَتَى لِيَكُونَ
لِي صِهْرًا وَوَزِيرًا .

فَقَالَ فِي وَقَارٍ وَشَفَقَةٍ وَحِكْمَةٍ :
« إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ
هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ » .

وَهَذَا هُوَ صِدَاقُكَ، أَمَّا هَذِهِ السَّنَوَاتُ
الْثَّمَانِيَةُ فَلَا بُدَّ مِنْهَا .

فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ » .

خَافَ الشَّيْخُ أَنْ يَذْهَبَ الشَّابُّ بِنْتِهِ
وَيَبْقَى وَحِيدًا .

وَرَأَى الشَّيْخُ أَنْ يُجَرَّبَ الشَّابُّ أَيْضًا
حَتَّى إِذَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَدَّعَهُ .

وَأَفَقَ مُوسَى عَلَى ذَلِكَ وَرَأَى أَنَّ هَذَا
مِنْ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَيِّبَارِكُ فِي ذَلِكَ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَاقَهُ إِلَى مَدِينَةٍ وَأَرْسَلَهُ إِلَى
الشَّيْخِ وَأَلْقَى فِي قَلْبِهِ حَنَانًا وَحُبًّا .

فَقَالَ : « دَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ » .
 وَلَكِنْ أَرَادَ مُوسَى - بِحِكْمَتِهِ وَعَقْلِهِ -
 أَنْ يَحْفَظَ لَهُ حَقَّ الْخِيَارِ لَعَلَّهُ يَسْأَلُ فَقَالَ :
 « أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ
 وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ » .

إلى مصر

« وَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ سَارَ بِأَهْلِهِ »
 وَوَدَّعَ الشَّيْخَ وَوَدَّعَهُ الشَّيْخُ وَدَّعَا لَهُ :
 عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَا وَلَدِي ! فِي أَمَانٍ اللَّهُ
 يَا بِنْتِي !
 وَسَافَرَ مُوسَى بِأَهْلِهِ، وَاللَّيْلُ كُلُّهُ بَرْدٌ
 وَظِلَامٌ .

وَلَكِنْ أَيْنَ النَّارُ فِي الصَّحَرَاءِ ؟
 وَمَاذَا يَصْنَعَانِ إِذَا لَمْ يَجِدَا نَاراً يَصْطَلِيَانِ
 بِهَا، وَلَمْ يَجِدَا نُوراً يَهْتَدِيَانِ بِهِ ؟ !
 وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَمُوسَى يَنْحِتُ عَنْ نَارٍ
 « إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ
 نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى
 النَّارِ هُدًى » .

وَسَارَ مُوسَى قَبْلَ النَّارِ عَلَى جَنَاحِ الشَّوْقِ .
 « فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
 فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى » .
 هُنَالِكَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَأَوْحَى إِلَيْهِ .
 « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »
 « إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ .

وَكَانَ فِي يَدِ مُوسَى عَصًا كَانَ يَحْمِلُهَا
وَيَسْتَعِينُ بِهَا .

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى » .
وَأَجَابَ مُوسَى فِي بَسَاطَةٍ وَسَدَاجَةٍ .
« هِيَ عَصَايَ » .

وَأَخَذَ مُوسَى يَعُدُّ فَوَائِدَ هَذِهِ الْعَصَا فِي
تَفْصِيلٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ وَيَكُونَ حَدِيثُهُ
طَوِيلًا .

« هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا
عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى »

« قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى » .

« فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » .

« قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا

الْأُولَى » .

وَمُنِحَ مُوسَى آيَةً ثَانِيَةً، هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ

فَقَالَ :

« وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى » .

١٩ — اذهب الى فرعون إنه طغى

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَشْرَعَ

عَمَلَهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِأَجَلِهِ .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ فِرْعَوْنَ

أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ .
 إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، إِنَّ قَوْمَ
 فِرْعَوْنَ أَفْسَدُوا فِي أَرْضِ اللَّهِ .
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ .
 فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَقَوْمِهِ « إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ » .
 لَكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَكَيْفَ يُوَاجِهَ الْجَبَّارَ .

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقِبْطِيَّ بِالْأَمْسِ وَمَا
 أَمْسٍ بِبَعِيدٍ !
 وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ،
 وَيَعْرِفُهُ الشُّرْطَةُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ الْقَصْرِ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَنْ يَقْتُلُونِ .

وَذَكَرَ مُوسَى أَنْ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةً .
وَلَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُرِيدُ
أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى رَغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ .

« وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ .
« قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ
وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَى هَارُونَ .

« وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ » .
« قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ
مُسْتَمِعُونَ » .

« فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ » .

« أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » .
وَأَوْصَى اللَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ بِاللِّينِ وَالرَّفْقِ
مَعَ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ مَعَ أَعْدَائِهِ إِلَى حَدٍّ
فَقَالَ :

« فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ
يَخْشَى » .

٢٠ - أمام فرعون

وَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَامَا
فِي مَجْلِسِهِ يَدْعُوَانِهِ إِلَى اللَّهِ .

وَغَضِبَ الْجَبَّارُ مِنْ جَرَاءَةِ مُوسَى وَقَالَ
فِي عُلُوٍّ وَكِبَرٍ :

مَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الشَّابُّ حَتَّى تَقُومَ فِي
مَجْلِسِي وَتَعْظِي . أَلَسْتَ ذَلِكَ الْغُلَامَ الَّذِي
الْتَقَطْنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ ؟ !

« أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ
عُمُرِكَ سِنِينَ » .

« وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ » .

وَلَمْ يَغْضَبْ مُوسَى وَلَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَجْحَدْ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ بَلْ أَجَابَ فِي صَرَاحَةٍ وَوَقَارٍ .

« قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ، فَفَرَرْتُ
مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

وَقَالَ مُوسَى: إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنُ تَمُنُّ عَلَيَّ
بِالتَّزْيِيَةِ وَلَكِنْ لَا تَنْظُرُ لِمَاذَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ
وَكَيْفَ أُمَكَّنَكَ أَنْ تُرَبِّيَنِي؟

إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْمُرْ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ لَمَا أَلْقَيْتَنِي
أُمِّي فِي النَّيْلِ وَمَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ.

وَهَلْ هَذِهِ نِعْمَةٌ تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ فِي جَنْبِ
ظُلْمِكَ وَقَسَاوَتِكَ؟

إِنَّكَ عَامَلْتَ قَوْمِي كُلَّهُمْ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ
وَالدَّوَابِّ.

وَكُنْتَ تَزْجُرُهُمْ زَجْرَ الْكِلَابِ.

وَكُنْتَ تَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ إِذَا كَفَلْتَ طِفْلاً مِنْهُمْ؟!

وَذَلِكَ أَيْضاً عَنْ جَهْلِ وَخَطَا!

« وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

٢١ — الدعوة إلى الله

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا، فَأَرَادَ
أَنْ يَتَخَلَّصَ فَقَالَ:

« وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ » الَّذِي أَسْمَعُكَ
تَذْكُرُهُ ؟

« قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ » .

غَضِبَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَأَرَادَ
أَنْ يَغْضِبَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَيَتَعَجَّبُوا .
« فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَلَا تَسْمِعُونَ ؟ »

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ بَلْ ضَرَبَ
فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً .

« قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ »
وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يَصْبِرْ وَقَالَ :
« إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ » .
وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسَى الْكَلَامَ وَضَرَبَ فِرْعَوْنَ
ضَرْبَةً ثَالِثَةً .

« قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ » .
وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَشْغَلَ مُوسَى عَنْ هَذَا
الْمَوْضُوعِ الْمُرِّ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُبِيرَ غَضَبَ مَلِكِهِ .
فَقَالَ : « وَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى !؟ »

قَالَ فِرْعَوْنُ فِي نَفْسِهِ: إِذَا قَالَ مُوسَى
إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ .

قُلْتُ: فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ !
وَإِذَا قَالَ مُوسَى إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ
وَسَفَاهَةٍ .

غَضِبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَقَالُوا إِنَّ مُوسَى
سَبَّ آبَاءَنَا .

وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ
وَكَانَ مُوسَى عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ :

« عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ

رَبِّي وَلَا يَنْسَى » .

ثُمَّ أَنْشَأَ مُوسَى يَقُولُ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ
يَفِرُّ مِنْهُ وَيَتَخَلَّصُ :

« لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ، الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً . »

وَتَحْيِرَ فِرْعَوْنَ وَبُهِتَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ
فَقَالَ مَا تَقُولُهُ الْمُلُوكُ كُلُّهُمْ إِذَا عَجَزُوا
وَغَضِبُوا .

« قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ
مِنَ الْمَسْجُونِينَ . »

معجزات موسى

وَلَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ سَهْمَهُ ، أَرَادَ مُوسَى
أَنْ يَرْمِيَهُ بِسَهْمِ اللَّهِ .

« قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشْيءٍ مُبِينٍ ؟ ! »

« قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ »
 « فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » .

« وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ »
 وَوَجَدَ فِرْعَوْنُ مَقَالاً يَقُولُهُ لِحُلَسَائِهِ .
 « قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ » .
 وَوَافَقَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ « قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ » .

« قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ
 أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ » .

وَرَمَى فِرْعَوْنُ مُوسَى بِسَهْمٍ آخَرَ فَقَالَ :
 « قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
 آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا

نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ .
 وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخَوِّفَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ
 مُوسَى فَعَلَ الْمُلُوكَ .
 فَقَالَ : « يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
 بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ » .
 أَشَارَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَجْمَعَ السَّحَرَةَ
 مِنْ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْمِي بِهِمْ مُوسَى .
 وَهَكَذَا كَانَ : نُودِيَ فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ
 « أَلَا مَنْ كَانَ يَعْرِفُ السَّحَرَ فَلْيَحْضُرْ إِلَى
 الْمَلِكِ » .
 وَاجْتَمَعَ السَّحَرَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ
 نَوَاحِي الْمَمْلَكَةِ .
 وَكَانَ يَوْمُ الزَّيْنَةِ هُوَ الْمِيعَادُ .

« وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ،
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ » ؟

٢٣ — إلى الميدان

وَتَرَى النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ
ضُحًى ! وَيَمْشُونَ إِلَى الْمِيدَانِ أَفْوَاجاً .

وَيَمْشُونَ إِلَى الْمِيدَانِ أَطْفَالاً ، وَشُبَّاناً
وَشُيُوخاً ، وَرِجَالاً وَنِسَاءً .

وَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَرِيضٌ أَوْ عَاجِزٌ .

وَلَا تَسْمَعُ فِي الْمَطَرِيَّةِ^(١) إِلَّا حَدِيثَ
السَّحَرِ وَأَسْمَاءَ السَّحَرَةِ .

(١) قصة مصر أيام الفراعنة .

هَلْ جَاءَ سَاحِرُ أُسْوَانَ^(١) الْأَكْبَرُ أَيْضاً ؟
 نَعَمْ وَسَاحِرُ الْأَقْصَرِ^(٢) وَسَاحِرُ الْجِيزَةِ^(٣)
 الشَّهِيرُ !

مَاذَا تَرَى يَا أَخِي مَنْ يَغْلِبُ ؟
 إِنَّ مِصْرَ قَدْ أَلْقَتْ أَفْلَاحَ كِبِدِهَا تَرَى
 يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ !

وَكَيْفَ يَغْلِبُهُمْ مُوسَى وَأَخُوهُ وَأَيْنَ تَعْلَمَا
 السُّحْرَ ؟

نَشَأَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ
 خَائِفاً يَتَرَقَّبُ وَكَانَ فِي مَدِينِ سِينَ .
 فَأَيْنَ تَعْلَمَا السُّحْرَ ؟

أَفِي مِصْرَ ؟ لَا !

أَفِي مَدِينَةٍ ؟ مَا سَمِعْنَا أَنَّ هُنَالِكَ فِتْنَةٌ !
 وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بَيْنَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ
 وَلَعَلَّ الْيَأْسَ أَغْلَبَ، اللَّهُ يَرْحَمُ ابْنَ عِمْرَانَ !
 اللَّهُ يَنْصُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ !

وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَأَقْبَلُوا بِخِيَلِهِمْ وَفَخَرِهِمْ
 وَخَرَجُوا فِي مَلَابِسٍ مُلَوَّنَةٍ وَخَرَجُوا
 يَحْمِلُونَ الْعِصِيَّ وَالْحِجَالَ .
 وَخَرَجُوا يَضْحَكُونَ وَيَمْرَحُونَ، الْيَوْمَ
 يَوْمُ الْفَنِّ !

الْيَوْمَ يَرَى الْمَلِكُ صَنِيعَنَا، الْيَوْمَ يَرَى
 الْقَوْمُ فَضْلَنَا !

« فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا
 لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ » .

« قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .
وَهَذِهِ هِيَ جَائِزَةُ الْمُلُوكِ ! وَهَذَا عَطَاءُ
الْمُلُوكِ !

وَهَذَا الَّذِي يُخَدَعُ بِهِ الرِّجَالُ ! وَهَذَا
الَّذِي يُصَادُ بِهِ الْأَبْطَالُ !
وَفَرَحَ السَّحَرَةُ بِمَوَاعِيدِ فِرْعَوْنَ .

٢٤ — بين الحق والباطل

« قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ .
« فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ
فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ » .
وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا، حَيَّاتٌ تَسْعَى فِي
الْمِيدَانِ، وَدُهْشَ النَّاسُ وَتَرَجَعُوا إِلَى الْخَلْفِ

وَهتَفُوا: حَيَّاتُ ! حَيَّاتُ !

وَصَاحَتِ النِّسَاءُ وَبَكَتِ الْأَطْفَالُ وَعَلَا

الهُتَافُ فِي الْمِيدَانِ: حَيَّاتُ ! حَيَّاتُ !

وَرَأَى مُوسَى مَا رَأَى النَّاسُ وَتَعَجَّبَ

« فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى » .

وَخَطَرَ فِي قَلْبِ مُوسَى خَاطِرُ خَوْفٍ !

وَلِمَاذَا لَا يَخَافُ مُوسَى ؟

هَذَا يَوْمُ الرَّهَانِ ! وَعِنْدَ الْأَمْتِحَانِ يُكْرَمُ

الرَّجُلُ أَوْ يُهَانُ !

وَإِذَا غَلَبَ السَّحَرَةُ - لَا قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ .

وَإِذَا غَلِبَ مُوسَى - لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ .

فَمَاذَا يَكُونُ ؟ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ !!

وَلَيْسَ غَلَبُ مُوسَى غَلَبَ رَجُلٍ ، بَلْ
هُوَ غَلَبُ دِينٍ أَمَامَ مَلِكٍ .

بَلْ هُوَ غَلَبُ حَقٍّ أَمَامَ بَاطِلٍ .
لَا قَدَرُ اللَّهِ ذَلِكَ ! لَا سَمَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ !
وَلَكِنَّ اللَّهَ شَجَّعَهُ وَقَالَ :
« لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » .

« وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
حَيْثُ أَتَى »

« قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ
سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ *
وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » .
« وَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ »

مَا يَأْفِكُونَ .

« فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ودهش السحرة وبهتوا .

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ إِنَّا نَعْرِفُ السَّحْرَ وَأَصْلَهُ

وإِنَّا نَعْرِفُ السَّحْرَ وَأَنْوَاعَهُ .

وَنَحْنُ أَسَاتِذَةُ الْفَنِّ ! وَنَحْنُ أَيْمَةُ الْفَنِّ !

هَذَا لَيْسَ مِنَ السَّحْرِ ! هَذَا لَيْسَ مِنَ

السَّحْرِ !

لَوْ كَانَ مِنَ السَّحْرِ لَضَرَبْنَا السَّحْرَ بِالسَّحْرِ

وَقَرَعْنَا الْفَنَّ بِالْفَنِّ !

وَلَكِنْ اضْمَحَلَّ فُتْنَا أَمَامَ هَذَا، وَذَابَ

كَمَا يَذُوبُ النَّدى أَمَامَ الشَّمْسِ .

فَمِنْ أَينَ هَذَا ؟ هَذَا مِنَ اللَّهِ !

اِقْتَنَعَ السَّحَرَةُ بِأَنَّ مُوسَى نَبِيٌّ وَأَنَّ اللَّهَ
 قَدْ مَنَحَهُ مُعْجِزَةً فَصَرَخُوا وَهَتَفُوا :
 « آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى » .
 « وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودِينَ * قَالُوا آمَنَّا
 بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ » .

٢٥ — وعيد فرعون

وَجُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ !
 وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ .
 مِسْكِينُ فِرْعَوْنُ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ يَرْجُوهُ !
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ مُوسَى بِالسَّحَرَةِ
 فَأَصْبَحَ السَّحَرَةُ جُنْدَ مُوسَى
 إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ مُوسَى فَجَاءَ

بِالسَّحَرَةِ فَإِذَا بِهِمْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ !
 إِنَّ سِهَامَهُ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ .
 وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ
 كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .
 وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ
 سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .
 وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنَّ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ
 يُنْفِىَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَقَالَ فِي كِبَرٍ وَجَبُرُوتٍ .
 « امْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ » ؟ !
 وَرَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِسَهْمٍ مِنْ سِهَامِ الْمُلُوكِ
 فَقَالَ :
 « إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ » !
 وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَقَالَ :

« إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » !!
وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ مَسْمُومٍ هُوَ السَّهْمُ
الْأَخِيرُ فِي كِنَانَةِ الْمُلُوكِ .

« لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ » .

وَتَلَقَّى الْمُؤْمِنُونَ السَّهَامَ كُلَّهَا بِجَنَّةِ
الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَقَالُوا :

« لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » .
« إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ
كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَقَالُوا فِي إِيْمَانٍ وَحِمَاسَةٍ :
« إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا

أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى *
 إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا
 يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
 عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
 الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى .

سفاهة فرعون

وَاهْتَمَّ فِرْعَوْنُ بِأَمْرِ مُوسَى كَثِيرًا وَطَارَدَ
 نَوْمُهُ .

وَبَقِيَ فِرْعَوْنُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا
 شَرَابٌ .

وَأَثَارَ غَضَبِهِ الْآخَرُونَ أَيْضًا وَقَالُوا :

« أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ ؟ ! »

وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَثَارَ .
« قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ » .
وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَصُدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَ
مِصْرَ عَنْ مُوسَى بِكُلِّ حِيلَةٍ .

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ
أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنِ
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » .

« أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ *
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ » !

وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِي رَزَانَةٍ وَحِلْمٍ :

« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي » !!

كَأَنَّهُ فَتَشَ كَثِيراً وَفَكَرَ كَثِيراً وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ .

وَقَالَ فِي سَفَاهَةٍ وَجُنُونٍ :

« فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ

لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي

لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وَأَوْقَدَ هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، وَبَنَى صَرْحاً وَلَكِنْ

إِلَى أَيْنَ ؟ تَعِبَ هَامَانُ وَتَعِبَ الْبَنَّاؤُونَ وَنَفِدَ الطِّينُ

وَالْآجُرُ .

وَلَا يَزَالُ فِرْعَوْنُ بَعِيداً لَمْ يَصِلْ إِلَى السَّحَابِ

فَضْلاً عَنِ الْقَمَرِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَمَرِ فَضْلاً عَنِ الشَّمْسِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الشَّمْسِ فَضلاً عَنْ الْكَوَاكِبِ .
 وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَوَاكِبِ فَضلاً عَنْ السَّمَاءِ .
 وَخَابَ فِرْعَوْنُ وَخَجِلَ وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ
 وَقَعَدَ .

مِسْكِينٌ أَلَا يَذَرِي أَنَّ اللَّهَ « خَلَقَ الْأَرْضَ
 وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى » .
 « لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا
 بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى » .
 « وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهُ » .

وَلَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنُ حِيلَةً إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى
 وَحُجَّتُهُ أَنَّ مُوسَى يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ .
 « وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ

رَبِّهِ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ
فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ — مؤمن آل فرعون

وَلَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَىٰ قَامَ رَجُلٌ
 مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَقَالَ :
 « أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ » .
 وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ :
 لِمَ إِذَا تَتَعَرَّضُونَ لِمُوسَىٰ وَلِمَاذَا تُؤْذُونَهُ ؟
 إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَاتْرَكُوهُ وَشَأْنُهُ وَخَلُّوا
 سَبِيلَهُ .

« إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ »

وَإِذَا أَذِيتُمُوهُ وَوَقَعْتُمْ بِهِ وَكَانَ نَبِيًّا فَلَكُمْ
الْوَيْلُ .

« وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
يَعِدُّكُمْ » .

وَيَا إِخْوَانِي لَا تَغْتَرُّوا بِمُلْكِكُمْ، وَلَا
تَغْتَرُّوا بِقُوَّتِكُمْ وَجُنُودِكُمْ .

« يَا قَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي
الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ؟ ! »
وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ :

« مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا
سَبِيلَ الرَّشَادِ » .

وَأَرَادَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُحَذِّرَ قَوْمَهُ
سُوءَ الْعَاقِبَةِ وَمَصِيرَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ :

« وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ
 الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
 وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ » .
 وَخَوْفَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
 وَمَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟

« يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ،
 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
 شَأْنٌ يُغْنِيهِ » .

« الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 إِلَّا الْمُتَّقِينَ » .

« وَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » .

يَوْمَ يُنَادِي الْمَلِكُ الْجَبَّارُ: « لِمَنِ الْمُلْكُ
 الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » .

يَوْمَ يَفَزَعُ النَّاسُ وَيَصْرُخُونَ وَيُنَادِي
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَوْمَ يُولُّونَ مُذِيرِينَ مَا لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ .

فَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ :

« وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ،
يَوْمَ تُولُّونَ مُذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . »

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَكُمْ
نِعْمَةً وَلَكِنَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ فَضْلَهَا وَمَا قَدَرْتُمُوهَا
حَقَّ قَدْرِهَا حَتَّى إِذَا ذَهَبَتْ تَأْسَفْتُمْ عَلَيْهَا .

ذَلِكَ يُوسُفُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
الَّذِي مَا عَرَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِرُوهُ قَدْرَهُ .
وَلَكِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُلْتُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ نَبِيُّ وَلَا

كَيُوسُفَ .

مَلِكٌ وَلَا كَيُوسُفَ! رَجُلٌ وَلَا كَيُوسُفَ!

وَمَنْ لَنَا بَنِي بَعْدَهُ؟! مَنْ لَنَا بِمِثْلِهِ؟!

أَبَدًا! لَنْ يَأْتِيَ مِثْلُهُ!

« وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ

قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا » .

كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بَعْدَ هَذَا النَّبِيِّ أَيْضًا!

وَتَتَذَمُّونَ !

٢ — نصيحة الرجل

وَوَعِظَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَبَذَلَ لَهُمْ وَدَّهَ

وَنَصِيحَتَهُ .

« وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ » .

وَعَلِمَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي
سَكْرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ مَغْرُورٌ بِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ .
وَلَكِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ حُلُمٌ مِنَ الْأَحْلَامِ
وَأَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ .

وَعَرَفَ الرَّجُلُ مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ مِنْ اتِّبَاعِ
مُوسَى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سُكَارَى بِسَكْرَةِ الدُّنْيَا .
وَالسُّكْرَانُ مَا يَسْمَعُ وَمَا يَشْعُرُ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ لَا يَسْمَعُونَ صَوْتَ
مُوسَى .

فَارَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ :

« يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ
 وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ » .
 وَطَفِقَ الْجُهَّالُ مِنْ قَوْمِهِ يَدْعُرْنَهُ إِلَى الْكُفْرِ
 وَالشِّرْكِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ .
 فَإِذَا قَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ! قَالُوا لَهُ
 ارْجِعْ إِلَى دِينِ الْآبَاءِ !
 وَلَمَّا بَالِغُوا فِي الدَّعْوَةِ قَالَ لَهُمْ :
 « وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النُّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي
 إِلَى النَّارِ » .
 « تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا
 لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ » .
 وَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: أَيُّ نَبِيٍّ جَاءَ
 مِنْ آلِهَتِكُمْ ؟

وَأَيُّ كِتَابٍ نَزَلَ؟ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ؟
 «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» .

وَهُؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ، ذَلِكَ
 إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُوسُفُ وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى .

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ! وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
 لَهُ دَعْوَةٌ!

«لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ
 دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ» .

وَلَمَّا يَثَسَّ الرَّجُلُ مِنْ هِدَايَتِهِمْ وَسِئَمَ
 الرَّجُلُ مِنْ بِلَادَتِهِمْ تَرَكَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ :
 «فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمْرِي
 إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» .

وَغَضِبَ النَّاسُ وَأَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنْ
يَقْتُلُوهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ .
« فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ
بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ »

٣ — زوج فرعون

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ
كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .
وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ
سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئًا أَوْ
يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ .
وَكَانَ إِذَا آمَنَ أَحَدٌ بِمُوسَى فِي أَقْصَى

مَمْلَكَةِ مِصْرَ جُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ .
 وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ ، وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ .
 وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُوسَى
 قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَهُ ؟ !
 يَعْيشُ فِي مَمْلَكَتِي وَيَعْصِيَنِي ، وَيَأْكُلُ
 رِزْقِي وَيَكْفُرُنِي ؟ !

أَنَا أَوَّلَى بِكُلِّ رَجُلٍ فِي مِصْرَ مِنْ نَفْسِهِ !
 وَيَنْسَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ يَعْيشُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ
 وَيَعْصِيهِ ، وَيَأْكُلُ رِزْقَ اللَّهِ وَيَكْفُرُ بِهِ .
 وَأَرَاهُ اللَّهُ آيَةً فِي بَيْتِهِ ، آيَةً فِي أَهْلِهِ .
 أَرَاهُ اللَّهُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ
 الْأَجْسَامِ

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ

سُلْطَانًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ .
 وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ ،
 وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .
 دَخَلَ الْإِيمَانُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَهُوَ لَا
 يَشْعُرُ ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا .
 وَآمَنَ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِاللَّهِ وَكَفَرَتْ
 بِفِرْعَوْنَ .
 وَآمَنَ بِمُوسَى عَلَى رَغَمِ زَوْجِهَا مَلِكِ
 مِصْرَ .
 آمَنَ بِمُوسَى أَعْلَمُ خَلْقِ اللَّهِ بِفِرْعَوْنَ
 وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ .
 وَلَمْ يَصْنَعْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ شَيْئًا وَلَمْ
 يَشْعُرُوا بِذَلِكَ وَلَهُمْ شَامَةُ النَّملِ وَعُيُونُ

الغُرَابِ .

وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ
إِلَيْهَا .

وَلَوْ عَلِمَ بِذَلِكَ فِرْعَوْنُ مَاذَا فَعَلَ ؟ إِنَّهُ
يَمْلِكُ الْجِسْمَ وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْعَقْلَ .
وَإِنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى اللِّسَانِ وَلَيْسَ لَهُ عَلَى
الْقَلْبِ سُلْطَانٌ .

عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا وَلَكِنْ لَا
طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَ أَبُوهُ وَأَنْ يَكُونَ
بِهِمَا بَارًّا رَشِيدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُطِيعَهُمَا
فِي الشُّرْكِ .

«وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

وَاسْتَقَامَتُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ عَلَى الْإِيمَانِ،
وَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِي بَيْتِ عَدُوِّ اللَّهِ .
وَكَانَتْ تَخَافُ اللَّهَ وَتَتَبَرَأُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا يَعْمَلُ
فِرْعَوْنُ .

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ امْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ وَأَنْجَاهَا
اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَضَرَبَهَا اللَّهُ مَثَلًا
لِلْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهَا وَشَجَاعَتِهَا .

« وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

٤ — محنة بني إسرائيل

وَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ عَدَاوَةَ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، تَقَرَّبُوا إِلَى فِرْعَوْنَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَإِذْأَتِهِمْ. وَاجْتَرَأَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَطْفَالُ وَهَرَّتُهُمُ الْكِلَابُ .

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ جَدِيدَةٌ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ .

وَمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَلِّمُهُمْ وَيُوصِيهِمْ بِالصَّبْرِ، وَيَقُولُ لَهُمْ :

« اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

وَسَيَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ الْمِحْنَةَ وَهَذَا
الْأَذَى وَقَالُوا لِمُوسَى :

لَمْ تَنْفَعْنَا شَيْئًا ! لَمْ تُغْنِ عَنَّا شَيْئًا !
« قَالُوا أَوَذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ

مَا جِئْتَنَا » .

وَلَكِنَّ مُوسَى لَمْ يَجْزَعْ ! وَلَكِنَّ مُوسَى
لَمْ يَيْئَسْ !

« قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .
« وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ
فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ » .

« فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَمْنَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ
عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَيَغْضَبُ إِذَا رَأَوْهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ
وَيُصَلُّونَ لَهُ .

وَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ لِلَّهِ
فِي أَرْضِهِ ، وَكَانَ يَغْضَبُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ فِي
أَرْضِهِ .

مَا أَجْهَلَ فِرْعَوْنَ ! الْأَرْضُ لِلَّهِ لَا لِفِرْعَوْنَ !

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى
أَرْضِ اللَّهِ ؟ !

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَعَا إِلَى عِبَادَتِهِ عَلَى أَرْضِ
اللَّهِ ؟ !

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ مَا كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ

أَحَدًا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي بَيْتِهِ !
 فَأَمَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى :
 « اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ »
 وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَعَجِزَتْ شُرُطَتُهُ أَنْ
 يَحُولُوا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ !
 وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ؟ ! وَمَنْ
 يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ ؟ !

٥ - المجاعات

وَلَمَّا طَغَى فِرْعَوْنُ وَأَسْرَفَ فِي الْغَفْلَةِ
 وَالْعِنَادِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ .
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ! إِنَّ اللَّهَ
 لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ !

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَلِيدًا جِدًّا، ضَاعَتْ فِيهِ
الْحِكْمَةُ وَالْمَوْعِظَةُ .

وَالْحِمَارُ لَا يَتَنَبَّهُ حَتَّى يُضْرَبَ !
فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ !

وَمِصْرُ بِلَادُ مُخَصَّبَةٍ خَضِرَاءُ، بِلَادُ
الْخَيْرَاتِ وَالْأَثْمَارِ وَبِلَادُ الْحُبُوبِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ بِلَاداً
بَعِيدَةً أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فِي عَهْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

وَكَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ
كَنْعَانَ !

وَالنَّيْلُ هُوَ الَّذِي يُرْوِي أَرْضَ مِصْرَ
وَيَسْقِي زُرُوعَهُمْ .

وَهُوَ مَنبَعُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مِصْرَ .
 وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُ مِصْرَ يَظُنُّونَ أَنَّ النَّيْلَ
 هُوَ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ .
 وَأَنَّ مِصْرَ غَنِيَّةٌ بِالنَّيْلِ عَنِ الْمَطَرِ وَعَنْ
 كُلِّ شَيْءٍ .

وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ .
 وَأَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .
 وَأَنَّ النَّيْلَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ وَيَفِيضُ بِأَمْرِهِ .
 وَأَمَرَ اللَّهُ النَّيْلَ فَغَاضَ مَآوُهُ وَذَهَبَ فِي
 الْأَرْضِ .

فَمَاذَا يُرْوِي زُرُوعَ أَهْلِ مِصْرَ ؟ !
 نَقَصَتْ ثَمَرَاتُهُمْ وَنَقَصَتْ حُبُوبُهُمْ وَكَانَتْ
 مَجَاعَةٌ بَعْدَ مَجَاعَةٍ !

وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَعَجَزَ هَامَانُ وَعَجَزَتْ
شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ عَنْ كُلِّ حِيلَةٍ .

هَنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ
رَبَّهُمْ ، وَأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ !

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ ، وَلَمْ يَنْفَعْ
أَهْلَ مِصْرَ وَلَمْ يُنَبِّهَهُمْ !

وَحَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ
وَالْعِبْرَةِ .

قَالُوا هَذِهِ الْمَجَاعَاتُ وَهَذِهِ السَّنُونَ مِنْ
شُومِ مُوسَى وَقَوْمِهِ !

يَا لِلْعَجَبِ ! أَلَمْ يَكُنْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ؟ !
أَلَمْ يَكُنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ؟ !

بَلْ ذَلِكَ مِنْ شُومِ أَعْمَالِهِمْ !! بَلْ ذَلِكَ

مِنْ شُومٍ كُفِّرِهِمْ !
 وَعَآنَدَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَقَالُوا إِنَّا لَا
 نَخْضَعُ لِهَذَا السَّحْرِ .
 « وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ
 بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ » .

٦ — خمس آيات

وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى .
 أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ ، فَقَاضَ النَّيْلُ .
 وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ
 وَأَمْطَرَتْ .
 حَتَّى غَرِقَتِ الزُّرُوعُ وَالْحُقُولُ ، وَتَلَفَتِ
 الْحُبُوبُ وَالثَّمَارُ .

وَعَادَ الْمَطْرُ عَلَيْهِمْ وَبَالًا .
 وَبَيْنَمَا هُمْ يَشْكُونَ قِلَّةَ الْمَاءِ إِذَا هُمْ يَشْكُونَ
 كَثْرَةَ الْمِيَاهِ .

ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ يَأْكُلُ الزُّرُوعَ
 وَالْحُقُولَ وَيَقَعُ عَلَى الْأَشْجَارِ فَلَا يَذُرُ مِنْهَا شَيْئًا .
 وَعَجَزَتْ جُنُودُ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتُهُ عَنْ
 قِتَالِ جُنْدِ اللَّهِ .

وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ
 وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ .

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ ضَعْفَ فِرْعَوْنَ،
 وَعَجَزَ هَامَانَ، وَقِلَّةَ حِيلَةِ الشَّرْطَةِ .

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَنَبَّهُوا ! وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَنَبَّهُوا !
 فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جُنْدًا آخَرَ، ذَلِكَ هُوَ

الْقُمَّلُ .

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلُ، فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ !
الْقُمَّلُ فِي الْفِرَاشِ، وَالْقُمَّلُ فِي الثِّيَابِ .
وَالْقُمَّلُ فِي الرَّأْسِ، وَالْقُمَّلُ فِي الشَّعْرِ .
فَطَارَ نَوْمُهُمْ وَبَاتُوا يَقْصَعُونَ^(١) الْقُمَّلَ
وَيَسْبُونَهُ، حَتَّى يُضْبِحُوا .

وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَالْقُمَّلُ لَا تَعْمَلُ فِيهِ
السُّيُوفُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السَّهَامُ، وَلَا يُنْجِدُهُمْ فِي
ذَلِكَ جُنُودُهُمْ وَشُرَطَتُهُمْ .

ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَفِي
الطَّعَامِ ضَفَادِعُ، وَفِي الشَّرَابِ ضَفَادِعُ،
وَبَيْنَ مَلَابِسِهِمْ ضَفَادِعُ .

(١) قَصَعَ القملة بظفروه : قتلها .

وَسَيَّمُوا هَذِهِ الضَّفَادِعَ وَتَنَعَّصَ عَيْشُهُمْ .
 وَانْتَشَرَتِ الضَّفَادِعُ وَفَشَتْ فِي جَمِيعِ
 أَنْحَاءِ الْبَيْتِ .
 تِلْكَ تَنِقٌ^(٢) وَهَذِهِ تَثْبُ هُنَا وَتِلْكَ تَقْفِرُ
 هُنَاكَ .

وَلَا يَقْتُلُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَأْتِي عَشْرٌ وَلَا
 يُخْرِجُونَ وَاحِدَةً إِلَّا وَتَظْهَرُ خَمْسٌ كَأَنَّهَا تُوَلَّدُ
 فِي الْبَيْتِ .

عَجَزَتِ الْحُرَّاسُ وَعَجَزَتِ الشُّرَطَةُ عَنْ
 الضَّفَادِعِ .

وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً خَامِسَةً، ذَلِكَ هُوَ
 الدَّمُّ .

فَسَالَ الرَّعَافُ مِنْ أَنَافِهِمْ وَضَعُفُوا وَتَعَبُوا
جِدًّا .

وَعَجَزَ الْأَطِبَّاءُ عَنِ الْعِلَاجِ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ
دَوَاءٌ .

وَكَلَّمَا رَأَوْا آيَةً قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ
أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا الْبَلَاءَ وَنُتُوبَ وَنُؤْمِنَ وَنُرْسِلَ
مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْبَلَاءَ نَكثُوا عَهْدَهُمْ .
« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ » .

٧ — الخروج

وَضَاقَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضُ مِصْرَ
وَهِيَ وَاسِعَةٌ

وَمَا يَصْنَعُونَ بِخَضَبِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا وَهُمْ
فِي سِجْنٍ يَذُوقُونَ كُلَّ يَوْمٍ صُنُوفًا مِنَ الْعَذَابِ
وَالْهُوَانِ ؟!

إِلَى مَتَى يَصْبِرُونَ، أَلَيْسُوا بَنِي آدَمَ يَشْعُرُونَ
بِالْأَذَى وَالْأَلَمِ ؟!

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَسْرِ بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَخَرُجْ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ .

وَأَحْسَ بِذَلِكَ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَهُمْ عِيُونَ
الْغُرَابِ وَشَامَةُ النَّمْلِ وَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ .
سَارَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي اللَّيْلِ نَحْوَ

الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ سِبْطًا كُلُّ
سِبْطٍ عَلَيْهِ أَمِيرٌ .

وَالطَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ طَرِيقٌ وَاضِحٌ مَعْلُومٌ ،
بُرٌّ يَصِلُ بَيْنَ الْبَرَيْنِ وَقَدْ جَاَزَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ ^(١) .

وَلَكِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا
وَكَانَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ .

أَخْطَأَ مُوسَى الطَّرِيقَ ، وَحَيْثُ أَخْطَأَ مُوسَى
أَصَابَ الْقَدْرُ .

ظَنَّ مُوسَى أَنَّهُ يَسِيرُ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى
جَانِبِ الشَّمَالِ .

فَإِذَا بِهِمْ فِي ظِلَامٍ اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ

(١) مرة ذهاباً إلى مدين ، ومرة إياباً إلى مصر .

الشرق^(١) .

وَإِذَا بِهِمْ أَمَامَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَتَلَاظِمُ
أَمْوَاجُهُ .

يَا حَافِظُ ! يَا سَاتِرُ ! أَيْنَ نَحْنُ ؟

كَانَ الْجَوَابُ إِنَّا أَمَامَ الْبَحْرِ !

وَالْتَفَتُوا إِلَى الْوَرَاءِ فَإِذَا بِغُبَارٍ سَاطِعٍ !

وَإِذَا بِجُنْدٍ عَظِيمٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ !

هُنَالِكَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ .

يَا ابْنَ عِمْرَانَ ! مَاذَا أَنْكَرْتَ مِنَّا حَتَّى

دَبَّرْتَ قَتْلَنَا !

وَجِئْتَ بِنَا إِلَى شَطْطِ الْبَحْرِ لِيَقْتُلَنَا فِرْعَوْنُ

قَتَلَ الْفِيرَانَ حَيْثُ لَا فِرَارَ وَلَا نَجَاةَ .

(١) يحسن بالمعلم أن يستلفت الطلبة إلى خارطة مصر .

لَا نَذْكُرُ إِلَيْكَ سُوءًا فَلِمَ آذَا هَذَا الْإِنْتِقَامُ ؟ !
 أَلَمْ يَكْفِكَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْجُحْدِ وَالْبَلَاءِ
 لِأَجْلِكَ حَتَّى جِئْتَ بِنَا إِلَى هُنَا ؟ ! .

هَآ هُوَ الْبَحْرُ أَمَامَنَا، وَهَآ هُوَ الْعَدُوُّ
 وَرَاءَنَا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْمَوْتُ !

هُنَالِكَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي عُيُونِ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَاسْتَوَلَى الْبَآسُ
 ثُمَّ خَفَّتِ الْأَصْوَاتُ .

هُنَالِكَ تَزَلَّزَلَتْ كُلُّ أَحَدٍ، وَحَقُّ لِلْجِبَالِ
 الرَّاسِيَّاتِ أَنْ تَتَزَلَّزَلْنَ .

وَلَكِنَّ إِيمَانَ مُوسَى بِرَبِّهِ لَمْ يَتَزَلَّزَلْ وَسَمِعَ
 النَّاسُ صَوْتًا فِيهِ جَلَالُ النُّبُوَّةِ .

« كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » .

وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ .
فَضْرَبَ فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ
جَانِبٍ كَالْجِبَلِ .
وَإِذَا اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا لاثْنِي عَشَرَ سَبْطًا
لِكُلِّ سَبْطٍ طَرِيقٌ .
وَسَارَ الْقَوْمُ آمِنِينَ وَوَصَلُوا إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ
وَالسَّلَامِ .

٨ - غرق فرعون

وَرَأَى فِرْعَوْنُ كَيْفَ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَبَرُوا
الْبَحْرَ آمِنِينَ .
وَقَالَ فِرْعَوْنُ لْجُنُودِهِ انْظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ
كَيْفَ انْفَلَقَ طَوْعًا لِأَمْرِي حَتَّى آخُذَ هَؤُلَاءِ

الْفَارِينَ .

وَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ، فَجَزَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
مَرَّةً أُخْرَى .

هَا هُوَ الْعَدُوُّ هَا هُوَ الظَّالِمُ يُرِيدُ أَنْ يَغْبِرَ
الطَّرِيقَ إِلَيْنَا .

وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَّا شَيْءٌ ، وَسَيَلْحَقُنَا وَيَأْخُذُنَا
إِلَى مِصْرَ مَأْسُورِينَ أَذِلَّاءَ أَوْ يَقْتُلَنَا فِي هَذِهِ
الْبَرِّيَّةِ غُرَبَاءَ .

وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَرَّ
فَيَعُودُ بَحْرًا كَمَا كَانَ وَلَكِنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ :
أَتْرِكِ الْبَحْرَ سَاكِناً « إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ » .

وَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ إِلَى عَرْضِ
الْبَحْرِ (وَهُوَ بَرٌّ) انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ .

وَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الْجَدَّ زَالَتْ سَكْرَتُهُ

« حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وَلَكِنْ هَيَّاتَ « لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ » .

و « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ

نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ
فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا » .

فَقِيلَ لَهُ « عَالِثُنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ

مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وَمَاتَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ غَرَقًا .

مَاتَ الْجَبَّارُ الَّذِي قَتَلَ الْوَفَا مِنْ الْأَطْفَالِ
وَالرَّجَالَ ذَبْحاً وَخَنْقاً .

مَاتَ الطَّاغِيَةُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفَ آلَافٍ
صَبْرًا وَشَنْقًا .

مَاتَ مَلِكُ مِصْرَ بَعِيداً عَنْ عَرْشِهِ بَعِيداً
عَنْ قَصْرِهِ، بَعِيداً عَنْ سُلْطَانِهِ لَا طَبِيبٌ يُدَاوِيهِ
وَلَا صَدِيقٌ يُوَاسِيهِ، وَلَا عَيْنٌ تَبْكِيهِ .

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي شَكٍّ عَنْ مَوْتِهِ
يَقُولُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَا يَمُوتُ .

أَمَّا كُنَّا نَرَاهُ يَقْضِي أَيَّاماً وَلَا يَأْكُلُ وَلَا
يَشْرَبُ ؟!

وَقَذَفَ الْبَحْرُ جُثَّتَهُ فَأَيَّقَنُوا بِمَوْتِهِ .
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِرْعَوْنَ « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

يَبْدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً ۖ وَكَانَتْ جُنَّةٌ
فِرْعَوْنَ آيَةً لِلنَّاطِرِينَ وَعِبرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .
وَغَرِقَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ عَنْ آخِرِهِ وَمَا نَجَا
مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَخَلَفُوا مِصْرَ وَرَاءَهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَرْضِهَا
الْوَاسِعَةَ ذِرَاعاً لِمَدْفَنٍ .

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جُنْتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فُكِهِينَ،
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

٩ - في البرية !

وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ

وَتَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .
 هُنَالِكَ لَا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ وَلَا يَخَافُونَ
 هَامَانَ وَلَا يَخَافُونَ شُرَاطَتَهُ .
 هُنَالِكَ يَمْشُونَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا يَحْشَوْنَ
 أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَضَرِ وَكَانَتْ
 الشَّمْسُ تُؤْذِيهِمْ فِي الْبَرِّيَّةِ .

وَكَانُوا ضُيُوفَ اللَّهِ ! أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الْمُلُوكِ كَيْفَ يُكْرِمُونَ ضُيُوفَهُمْ ؟ !
 وَكَيْفَ يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْخِيَامَ تَقِيهِمْ حَرَّ
 الشَّمْسِ ؟ !

إِنَّ كَرَامَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ !
 وَأَمَرَ اللَّهُ الْغَمَامَ أَنْ يُظِلَّهُمْ ، فَكَانُوا

يَمْشُونَ فِي ظِلِّ الْغَمَامِ ، وَكَانَ الْغَمَامُ يَسِيرُ
مَعَهُمْ حَيْثُ سَارُوا وَيَقِفُ أَيْنَا وَقَفُوا .
وَعَطِشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَا مَاءَ فِي الْبَرِّيَّةِ ،
وَلَا نَهْرٌ وَلَا بَيْتَرٌ .

ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى ، يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْعَطَشَ
كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا .

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ ؟ !

فَقَالَ « اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ » .

« فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ
كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرِبَهُمْ » .

وَجَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَشَكُوا إِلَى مُوسَى
الْجُوعَ كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلَى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا .

وَقَالُوا إِنَّكَ أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ أَرْضِ

الْفَوَاحِ وَالشَّمَرَاتِ وَأَرْضِ الْخَيْرَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ
 فَمَنْ لَنَا بِطَعَامٍ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ ؟
 دَعَا مُوسَى رَبَّهُ ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ ؟ ! فَأَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ .

أَنْزَلَ لَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ مِثْلَ
 الْحُلُوى، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَيْرًا يَأْخُذُونَهُ مِنْ
 الْأَشْجَارِ بِسُهُولَةٍ .

ذَلِكَ هُوَ الْمَنْ وَالسَّلَوى، ضِيَافَةُ اللَّهِ
 لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ .

١٠ — كُفْرَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدَ ذَوْقَهُمْ
 وَخَلَقَهُمُ الْعُبُودِيَّةُ الطَّوِيلَةُ .

وَكَانُوا لَا يَقْرُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانُوا لَا
يَسْكُنُونَ إِلَى شَيْءٍ وَكَانُوا فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالًا .

وَكَانُوا قَلِيلِي التَّشْكُرِ كَثِيرِي التَّشْكِي
سَرِيعِي السَّامَةِ يُحِبُّونَ مَا مُنِعُوا وَيَكْرَهُونَ
مَا أُعْطُوا .

وَلَمْ يَلْبَثُوا قَلِيلًا أَنْ قَالُوا لِمُوسَى قَدْ سَمِنَّا
هَذَا الطَّعَامَ الْوَاحِدَ، وَقَدْ سَمِنَّا هَذَا اللَّحْمَ
وَهَذِهِ الْحَلْوَى .

وَقَدْ اشْتَهَيْنَا الْخَضَرَ وَالْبُقُولَ .

« يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا
وَقَنَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا » .

تَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ هَذَا السُّؤَالِ الْغَرِيبِ

وَقَالَ بِصَوْتٍ فِيهِ الْإِنْكَارُ وَفِيهِ الْأَسْتَعْجَابُ
وَفِيهِ الْعِتَابُ .

« أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ

خَيْرٌ ؟ ! »

أَبْقُولًا وَخُضَرَ مَكَانَ طُيُورٍ وَحَلَوَىٰ لَمْ

تَمَسَّهَا يَدُ إِنْسَانٍ ؟ !

أَطْعَامَ الْفَلَاحِينَ بَدَلَ طَعَامِ الْمُلُوكِ ؟

يَا لَفَسَادِ الذَّوْقِ ! يَا لَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ !

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ

سُؤَالِهِمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَطْلُبُونَ الْخُضَرَ وَالْبُقُولَ .

فَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ مَا سَأَلْتُمْ يُوجَدُ فِي كُلِّ

قَرْيَةٍ وَمِصْرٍ .

« اِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا سَأَلْتُمْ » .

١١ - عناد بني إسرائيل

وَكَانَتْ بُنُو إِسْرَائِيلَ فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالًا،
وَأَطْفَالًا مُعَانِدِينَ

وَكَلَّمَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ يُخَالِفُونَهُ إِلَى ضِدِّهِ
وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ .

كَانَهُمْ يَرَوْنَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا
يُقَالُ لَهُمْ .

كَطِفْلٍ عِنْدَ يُقَالُ لَهُ قُمْ فَيَجْلِسُ وَيُقَالُ
لَهُ اجْلِسْ فَيَقُومُ . وَيُقَالُ لَهُ اسْكُتْ فَيَتَكَلَّمُ
وَيُقَالُ لَهُ تَكَلَّمْ فَيَسْكُتُ .

وَكَانَ فِيهِمْ عِنَادُ الْأَطْفَالِ فِي خُبْثِ
الْأَشْرَارِ فِي هُزْءِ الْأَعْدَاءِ فِي سَفَاهَةِ الْمَجَانِينِ .
كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْكُنُوا قَرْيَةً وَيَأْكُلُوا

طَعَامَهُمُ الشَّهِيَّ مِنَ الْخُضْرِ وَالْبُقُولِ .
 وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ « اسْكُنُوا هَذِهِ
 الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا
 الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
 وَسَتَرِدُّ الْمُحْسِنِينَ » .

غَضِبُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ، وَدَخَلُوا
 الْقَرْيَةَ كُرْهًا وَهَزُورًا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ .

« فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
 لَهُمْ » .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلَاءً وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ وَبَاءً مَا تَوَا
 مِنْهُ مَوْتَ الْفِيرَانِ .

وَإِذَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ أَكْثَرُ مَا السُّؤَالِ وَالتَّنْقِيرِ .
 شَأْنُ رَجُلٍ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فَيُكْثَرُ

السُّوَالُ وَالتَّنْقِيرُ .

حَدَّثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَدِيثُ قَتْلِ ،
فَأَهَمَّ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْقَاتِلِ ، وَكَانَ السُّوَالُ
عَنِ الْقَاتِلِ حَدِيثَ النَّاسِ .

جَاءُوا إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
وَقَالُوا أَعِنَّا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَأَدْعُ اللَّهَ
بَيْنَ لَنَا الْقَاتِلِ .

١٢ - البقرة

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ
بَذَبْحِ بَقَرَةٍ .

هُنَالِكَ حَلَّتِ الْمَصِيبَةُ ، وَبَدَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ

يَسْأَلُونَ وَيَسْخَرُونَ .

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً .

« قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا .

« قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

وَهُنَا أَرْسَلُوا الْأَسْئَلَةَ .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؟

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا

بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ .

وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى هَذَا السُّوَالِ، بَلْ بَدَأُوا

يَسْأَلُونَ عَنْ لَوْنِهَا .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ «

وَلَمْ يَجِدُوا سُؤَالَ فَأَطْلِقُوا السُّؤَالَ .

« قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنْ

الْبَقَرَةُ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ

الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا » .

وَوَفَّقُوا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَأَنَّهُمْ قَالُوا « وَإِنَّا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ » فَاهْتَدَوْا .

وَلَكِنَّ أَسْأَلْتَهُمْ ضَيَّقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ، فَلَوْ

ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ لَكَانَتْ كَافِيَةً، وَلَكِنَّهُمْ

شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

وَفَتَّشُوا عَنِ الْبَقَرَةِ الْعَوَانَ الصُّفْرَاءِ الْفَاقِعِ

لَوْنُهَا الَّتِي لَا تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ

الْمَسْلَمَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا .
 وَنَذَرَ وُجُودَ هَذِهِ الْبَقَرَةِ الْغَرِيبَةِ فَإِمَّا
 بَقَرَةٌ فَارِضٌ وَإِمَّا بَقَرَةٌ بَكْرٌ .
 وَإِمَّا عَوَانٌ وَلَكِنْ غَيْرُ صَفَرَاءَ .
 وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفَرَاءُ وَلَكِنْ لَوْنُهَا غَيْرُ
 فَاقِعٍ .
 وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا
 وَلَكِنَّهَا بَقَرَةٌ ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ .
 وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا لَا
 تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَكِنَّهَا تَسْقِي الْحَرْثَ .
 وَفَتَّشُوا وَفَتَّشُوا وَعَلِمُوا عَاقِبَةَ هَذَا التَّنْقِيرِ ،
 مَا هِيَ ؟ مَا لَوْنُهَا ؟ مَا هِيَ ! وَتَعَبُوا .
 وَأَرَادَ اللَّهُ بِتَيْمٍ خَيْرًا فَوَجَدُوا هَذِهِ الْبَقَرَةَ

الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ فَاشْتَرَوْهَا بِشَمَنِ غَالٍ
 جِدًّا « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » .
 وَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُضْرَبَ الْمُقْتُولُ بِجُزْءٍ مِنْ
 أَجْزَاءِ الْبَقَرَةِ فَيَحْيَا وَيُخْبَرَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .
 وَهَكَذَا كَانَ

١٣ - الشريعة

وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَيْشِ الْبَهَائِمِ
 إِلَى عَيْشِ النَّاسِ .
 وَصَارُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَحْرَارِ
 الْأَشْرَافِ .
 هُنَالِكَ احْتَاجُوا إِلَى شَرِيعَةٍ إِلَهِيَّةٍ تَحْكُمُ
 بَيْنَهُمْ وَتُنِيرُ لَهُمُ السَّبِيلَ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كإِنْسَانٍ
إِلَّا بِشَرِيعَةِ إِلَهِيَّةٍ، وَإِلَّا بِنُورٍ مِنْ رَبِّهِ .
الْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ
لَهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ .

وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي
يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ .

وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَذَا النُّورِ كَانَ فِي ضَلَالٍ
يَحْبِطُ خَبِطَ عَشَوَاءَ

فَالْعَقَائِدُ - بَغَيْرِ هَذَا النُّورِ - أَوْهَامٌ
وَحُرَافَاتُ يَضْحَكُ مِنْهَا الْأَطْفَالُ .

أَمَّا سَمِيعُ عَقَائِدِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارِ وَالْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى وَحُرَافَاتِهِمْ وَأَسَاطِيرِهِمْ ؟ !
وَالْعِلْمُ جَهْلٌ وَظَنٌّ وَتَخْمِينٌ وَشَكٌّ « إِنَّ

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

وَالْأَخْلَاقُ تَفْرِيطٌ وَإِفْرَاطٌ وَتَقْصِيرٌ وَإِسْرَافٌ
أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَيْفَ يَهْضُمُونَ
الْحُقُوقَ وَكَيْفَ يُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ وَكَيْفَ يَتَّبِعُونَ
الْهَوَى ؟!

وَالْحُكْمُ وَالسِّيَاسَةُ ظُلْمٌ وَاسْتِبْدَادٌ وَخَبْطٌ
فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ وَدِمَائِهِمْ .

أَمَّا رَأَيْتُمُ أُولِي الْأَمْرِ - مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ
وَلَا يَتَّبِعُونَ الشَّرِيعَةَ - كَيْفَ يَخُونُونَ الْأَمَانَاتَ
وَكَيْفَ يَعْثُونَ بِأَمْوَالِ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَعْثُونَ
بِدِمَائِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ ؟!

وَكَيفَ اسْتَعْبَدُوا النَّاسَ وَجَعَلُوهُمْ شِيعًا

يَذْبَحُونَ رِجَالَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، أَتَعْلَمُ
كَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الْأُولَى وَكَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ
الثَّانِيَةِ^(١) !؟

فَالْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ فِي ظَلَامٍ إِلَّا
مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ .

« ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ
يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأْيَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
لَهُ مِنْ نُورٍ » .

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ،

(١) للمعلم : عدد المصابين في الحرب الأولى الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨)
على ما حققه الانكليزي السياسي الخير أي - اليس تاونستد أكثر من
سبعة وثلاثين مليوناً ٣٧٥١٣٨٨٦ رجلاً ، المقتولون منهم ٨٥٤٣٥١٥
نسمة . وقدر النائب البريطاني المستر ميكستن أن عدد المصابين في الحرب
الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليوناً .

وَكَذَلِكَ يُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يُعَامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .
 وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ آدَابَ الْحَيَاةِ مَعَ آدَابِ
 الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُهُمْ آدَابَ الْأَكْلِ وَآدَابَ الشُّرْبِ
 وَآدَابَ النَّوْمِ وَآدَابَ الْمَجْلِسِ وَآدَابَ كُلِّ شَيْءٍ .
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْآدَابَ كَمَا يُعَلِّمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ
 أَبْنَاءَهُ الْأَعْزَةَ .

وَالنَّاسُ كَالْأَطْفَالِ الصُّغَارِ يَحْتَاجُونَ فِي
 كِبَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ
 فِي صِغَرِهِمْ إِلَى تَرْبِيَةِ الْآبَاءِ .

وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلَقَّوْا هَذِهِ التَّرْبِيَةَ النَّبَوِيَّةَ وَلَمْ
 يَتَعَلَّمُوا الْآدَابَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَشْجَارِ الْبُرِّيَّةِ ،
 نَبَتَتْ وَنَشَأَتْ بِنَفْسِهَا فَرَى فِيهَا عِوَجًا وَشَوَّكَاً
 وَفَسَاداً .

١٤ - التوراة

وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يَضِيعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا
ضَاعَتْ أُمَّةٌ بغيرِ كِتَابٍ وَهَدَى مِنَ اللَّهِ .
وَأَرَادَ أَنْ لَا يَحْبِطُوا حَبْطَ عَشَوَاءَ كَمَا
حَبَطَتْ أُمَّةٌ حَبْطَ عَشَوَاءَ .

أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَتَطَهَّرَ وَأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ
يَوْمًا ثُمَّ يَأْتِيَ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ حَتَّى يُكَلِّمَهُ رَبُّهُ
وَيَتَلَقَّى كِتَابًا يَكُونُ لَهُمُ الْإِمَامَ .

اخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا
يَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
قَوْمٌ جَحْدٌ .

« وَقَالَ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
وَأُضْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ » لِأَنَّ

الْجَمَاعَةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ إِمَامٍ .
 سَارَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، وَلَكِنَّهُ حَثَّهُ الشَّوْقُ
 إِلَى رَبِّهِ فَتَعَجَّلَ وَسَبَقَ إِلَى الطُّورِ .
 قَالَ اللَّهُ : « مَا أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ
 يَا مُوسَى ؟ » .

« قَالَ : هُمْ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبُّ لِيَرْضَى » .

وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُتِمَّ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .
 وَصَلَ مُوسَى إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ
 وَنَاجَاهُ وَقَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَوْقًا فَقَالَ :
 « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ » .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ لِأَنَّ
 اللَّهَ « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .
وَإِنَّ الْجِبَالَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ كَلَامَهُ
فَضْلاً عَنْ نُورِهِ .

« لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ
خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .
« فَقَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ
فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي » .
« فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَى صَعِقاً » .

« فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنكَ تُبْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ » .

« قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ
بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنْ

الشَّاكِرِينَ .

أَخَذَ مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَفِيهَا كُلُّ مَا يَخْتَاجُ
إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ .
وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَهَا بِقُوَّةٍ وَيَأْمُرَ قَوْمَهُ
أَنْ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا .

وَلَمَّا وَصَلَ مُوسَى إِلَى السَّبْعِينَ رَجُلًا مِنْ
قَوْمِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالُوا فِي
وَقَاحَةٍ وَجَسَارَةٍ .

« لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » غَضِبَ
اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْوَقَاحَةِ وَالْجُرْأَةِ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ هَذِهِ الصَّاعِقَةَ
الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُونَ نُورَ اللَّهِ !

وَدَعَا مُوسَىٰ رَبَّهُ وَقَالَ : « رَبُّ لَوْ شِئْتَ
 أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
 السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ ! » .

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَبَعَثَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ
 لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

١٥ — العجل

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْشُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ
 فِي مِصْرَ مُنْذُ قُرُونٍ .

وَكَانَ الْأَقْبَاطُ يَعْبُدُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي
 مِصْرَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَرَوْنَ ذَلِكَ بَعْيُونَهُمْ .

وَزَالَتْ مِنْهُمْ كَرَاهَةُ الشُّرْكِ وَتَسَرَّبَ

إِلَيْهِمْ حُبُهُ كَمَا يَتَسَرَّبُ الْمَاءُ إِلَى بَيْتٍ وَاهِنٍ
عَتِيقٍ .

وَكَانُوا كُلَّمَا وَجَدُوا فُرْصَةً انْحَدَرُوا إِلَى
الشَّرِكِ كَمَا يَنْحَدِرُ الْمَاءُ إِلَى الْحَدُورِ .

وَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ وَفَسَدَ ذَوْقُهُمْ فَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .

جَازُوا الْبَحْرَ « فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ » .

وَغَضِبَ مُوسَى وَقَالَ « إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » .
يَا لِلْعَجَبِ ! يَا لِلظُّلْمِ ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْعَمَ
عَلَيْكُمْ وَفَضَّلَكُمْ وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ

الْعَالَمِينَ .

« أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ » .

سَارَ مُوسَى إِلَى الطُّورِ وَغَابَ عَنْهُمْ أَيَّامًا
فَكَانُوا صَيْدَ الشَّيْطَانِ وَفَرِيسَةَ الشُّرْكِ .

قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ السَّامِرِيُّ « فَأَخْرَجَ
لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَالَهُ مُوسَى فَنَسِيَ » .

وَقُتِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا الْعِجْلِ وَخَرُّوا
عَلَيْهِ صُمًّا وَعُمَيَانًا .

« أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا » .

« أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ

سَبِيلًا .

وَنَهَاهُمْ هَارُونُ عَنْ ذَلِكَ وَاجْتَهَدَ وَقَالَ :
« يَا قَوْمَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي » .

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مَفْتُونِينَ بِسِحْرِ
السَّامِرِيِّ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ فَقَالُوا :
« لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَى » .

١٦ — العقاب

وَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسْفَاءَ .
وَغَضِبَ عَلَى قَوْمِهِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَخِيهِ

هَارُونَ .

« قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
الَّا تَتَّبِعَنِ ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي » .

وَاعْتَذَرَ هَارُونَ وَقَالَ « إِنِّي خَشِيتُ أَنْ
تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي »
« إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي »

« قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

ثُمَّ انْفَجَّتْ مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ قَالَ : فَمَا
خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ؟

وَاعْتَرَفَ السَّامِرِيُّ بِجُرْمِهِ وَقَالَ : « كَذَلِكَ
سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » .

« قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ

تَقُولَ لَا مِسَاسَ .

وَعَاقِبُهُ مُوسَى بِالْأَنْفِرَادِ، يَمْشِي وَحْدَهُ
وَيَعِيشُ وَحْدَهُ كَالْوَحْشِيِّ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ .

وَأَيُّ عِقَابٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا ؟ !
إِنَّ الَّذِي نَجَسَ الْوَفَاً مِنَ النَّاسِ بِالشُّرْكِ
يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّرَهُ النَّاسُ وَيَنْبُذُوهُ
إِنَّ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ يَجِبُ أَنْ
يُفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

إِنَّ الَّذِي دَعَا إِلَى الشُّرْكِ فِي أَرْضِ اللَّهِ
مُذْنِبٌ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّهَا سِجْنًا لَهُ .

ثُمَّ التَفَتَ مُوسَى إِلَى الْعِجْلِ الْمَلْعُونِ
فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ فَأُحْرِقَ ثُمَّ نَفَضَهُ فِي الْبَحْرِ .
وَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مَصِيرَ الْعِجْلِ الْمَعْبُودِ

وَرَأَوْا ضَعْفَهُ وَعَجَزَهُ .

ثُمَّ التَفَتَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ :

« يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ » .

وَكَذَلِكَ فَعَلُوا ، وَقَتَلَ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعِجْلَ الَّذِينَ عَبَدُوهُ وَهَكَذَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » .

وَكَذَلِكَ عَبَادُ الْعِجْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ !

١٧ — جبن بني إسرائيل

نَشَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ
وَعَلَى الذُّلِّ وَاهْوَانٍ وَشَبَّ عَلَيْهِ الْأَطْفَالُ وَشَابَ
عَلَيْهِ الشُّبَّانُ . وَبَرَدَ فِي عُرُوقِهِمُ الدَّمُّ .
وَأَصْبَحُوا لَا يَحْلُمُونَ بِسَيَادَةٍ وَلَا يَتَحَدَّثُونَ
بِغَزْوٍ وَلَا جِهَادٍ .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ فِي
الْغُرْبَةِ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ وَلَا حُكْمٌ .

فَأَرَادَ مُوسَى بِوَحْيِ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمُقَدَّسَةَ وَيَسْكُنُوا فِيهَا مُلُوكًا أَحْرَارًا .

وَلَكِنَّ مُوسَى كَانَ يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْجَبْنِ
وَالضَّعْفِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَأَرَادَ أَنْ يُشَوِّقَهُمْ وَأَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ

لَأَنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهَا
قَوْمٌ جَبَّارُونَ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ .

وَلَا يَدْخُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ .

فَذَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى
الْعَالَمِينَ ، حَتَّى يَنْشَطُوا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَحَتَّى يَكْرَهُوا هَذِهِ الْحَيَاةَ الذَّلِيلَةَ غَيْرَ اللَّائِقَةِ .

« وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَقُومُوا وَتَنْتَرِعُوهَا مِنْ أَعْدَائِكُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَتَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا وَقَدَرَهُ لَهُ

فَقَدْ هَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهُ فَلَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ .
 « يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ »

وَخَافَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ طَبِيعَةُ الْجُبْنِ فَقَالَ :
 « وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ »
 وَوَقَعَ مَا كَانَ يَحْذَرُهُ مُوسَى ، فَكَانَ
 جَوَابُهُمْ عَلَى كُلِّ مَا قَالَ مُوسَى .
 « يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُ
 ندْخِلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا » .

وَقَالُوا فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ :
 « فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ » .
 « قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
 فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ * وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ .

وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوَثِّرْ فِيهِمْ وَقَالُوا :

إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدُّخُولِ فَادْخُلْ أَنْتَ
بِمُعْجَزَةٍ، فَإِذَا سَمِعْنَا أَنَّكَ قَدْ دَخَلْتَهَا، جِئْنَا
فَدَخَلْنَا نَحْنُ أَيْضاً آمِنِينَ سَالِمِينَ .

« قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ » .

هُنَالِكَ غَضِبَ مُوسَى وَيَثَسَّ مِنْ هَؤُلَاءِ .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » .

« قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً

يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ .
 وَفِي هَذِهِ الْمُدَّةِ يَمُوتُ هَذَا الْجِيلُ الَّذِي
 نَشَأَ فِي مِصْرَ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .
 وَيَنْشَأُ جِيلٌ آخَرُ يَنْشَأُ فِي هَذَا التَّيِّهِ عَلَى
 الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ وَتِلْكَ أُمَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا هُوَ
 مَصِيرُ الْيَهُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ أُمَّةٌ تَأْتِيهِ تَعِيشُ عَلَى
 الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .

١٨ — فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَامَ مُوسَى خَطِيباً
 فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ :
 أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟
 فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ !

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ !
 فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي
 بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ .
 قَالَ رَبُّ كَيْفَ بِهِ ؟
 فَقِيلَ لَهُ اِحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ (زَبِيلٍ)
 فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثُمَّ .

فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلَا
 حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا
 رُءُوسَهُمَا فَنَامَا .

فَانْسَلَ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
 فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (مَسْلَكًا) وَكَانَ لِمُوسَى
 وَفَتَاهُ عَجَبًا .

فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ

قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ
سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (تعباً) .

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى
جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ
فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ .

قَالَ مُوسَى : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي !

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا .

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًى
(مُغَطَّى) بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى .

فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ ؟

فَقَالَ : أَنَا مُوسَى !

فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟

قَالَ : نَعَمْ !

قَالَ مُوسَى : هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي
مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ؟

قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا !

يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ
عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ
عَلَّمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ !

قَالَ مُوسَى سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا .

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ
لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ
أَنْ يَحْمِلُوهُمَا .

فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ

(أَجْرَةٌ) .

فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ،
فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ .

فَقَالَ الْخَضِرُ :

يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ
عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةٍ هَذَا الْعُصْفُورُ فِي الْبَحْرِ .
فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأُوحِ
السَّفِينَةِ فَتَرَعَهُ .

فَقَالَ مُوسَى :

قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى
سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟

قَالَ الْخَضِرُ :

أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ !

قَالَ مُوسَى :

لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ
أَمْرِي عُسْرًا .

فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا .

فَانْطَلَقَا فَإِذَا بَغْلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ
فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ
بِيَدِهِ .

فَقَالَ مُوسَى :

أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ !
قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

صَبْرًا ؟ !

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا
أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا

يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ .

قَامَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ .

فَقَالَ مُوسَى :

لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا !

فَقَالَ : هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ !

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى

لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا ^(١) ! »

١٩ — التَّأْوِيل

ثُمَّ نَبَأَ الْخَضِرُ مُوسَى .

فَقَالَ : أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ

(١) الجامع الصحيح للبخاري

وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صَالِحَةَ) غَضَبًا .

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا .

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا .

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ .

وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

هُنَالِكَ عَرَفَ مُوسَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يُحِيطَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ بَعْضَ عِلْمِهِ عِنْدَ
بَعْضٍ وَبَعْضُهُ عِنْدَ بَعْضٍ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عِلْمٌ.

٢٠ — بنو اسرائيل بعد موسى

وَتُوفِّيَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَتِيهُونَ فِي
الْأَرْضِ عِقَابًا مِنْ اللَّهِ وَجَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ .
وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ .

إِنَّهُمْ قَدْ أَسْخَطُوا اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ فِيهِمْ
أَنْبِيَاءَ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكًا، وَآتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ
أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فِي عَصَرِهِمْ .

الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِسَاءَهُمْ .

الَّذِي فَرَّقَ بِهِمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَاهُمْ وَأَغْرَقَ
آلَ فِرْعَوْنَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

الَّذِي ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ
الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى .

الَّذِي فَجَّرَ لَهُم مِّنَ الْأَرْضِ عَيْنُونَ، وَوَسَّعَ
لَهُمْ فِي مَا كَلَّ وَمَشَرَبَ .

وَكَانَ جَزَاءُ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَعَصَوْا وَاعْتَدَوْا .

وَأَغْضَبُوا نَبِيَّهُمْ مُوسَى أَشْفَقَ خَلْقَ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ
ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِمْ حَنُوَ
الْمُرْضِعِ عَلَى الْفَطِيمِ وَالْأُمِّ الْحَنُونَ عَلَى الْيَتِيمِ

ذَلِكَ الَّذِي سُبُوهُ دَعَا لَهُمْ وَكَلَّمَا ضَحِكُوا
عَلَيْهِ بَكَى لَهُمْ وَكَلَّمَا جَفَوَهُ رَتَى لَهُمْ .

ذَلِكَ الَّذِي خَلَّصَهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ
وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سِجْنِ مِصْرَ إِلَى بَرِّ الْحُرِّيَّةِ
وَالشَّرَفِ، وَمِنْ حَيَاةِ الْعَبِيدِ الْأَشْقِيَاءِ، إِلَى
حَيَاةِ الْأَحْرَارِ الشُّرَفَاءِ .

قَدْ أَغْضَبُوهُ وَآذَوْهُ وَعَانَدُوهُ وَسَخِرُوا مِنْهُ
وَجَعَلُوهُ أَهْوَنَ رَجُلٍ فِيهِمْ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا -
أَلَا يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْعِقَابَ وَالْخِزْيَ وَالذُّلَّ
وَالْمَسْكَنَةَ وَالْتِيَةَ الدَّائِمَ وَالْأَلَّ يُفْلِحُوا أَبَدًا ؟
بَلَى ! إِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ كُلَّ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ
بِأَعْمَالِهِمْ : « وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » .

فهرست الجزء الثالث

من قصص النبيين للأطفال

صفحة

٣	مقدمة للأستاذ سيد قطب
٥	من كنعان إلى مصر
٧	بعد يوسف
١٠	بنو إسرائيل في مصر
١٢	فرعون مصر
١٥	ذبح الأطفال
١٧	ولادة موسى
١٩	في النيل

صفحة

- ٢١ ----- في قصر فرعون
- ٢٤ ----- من يرضع الطفل
- ٢٧ ----- في حجر أمه
- ٣٠ ----- إلى قصر فرعون
- ٣٢ ----- الضربة القاضية
- ٣٥ ----- يظهر السر
- ٣٩ ----- من مصر إلى مدين
- ٤١ ----- في مدين
- ٤٣ ----- الطلب
- ٤٥ ----- الزواج
- ٤٩ ----- إلى مصر
- ٥٢ ----- اذهب إلى فرعون إنه طغى

صفحة

٥٥ ----- إمام فرعون

٥٨ ----- الدعوة إلى الله

٦١ ----- معجزات موسى

٦٤ ----- إلى الميدان

٦٧ ----- بين الحق والباطل

٧١ ----- وعيد فرعون

٧٤ ----- سفاهة فرعون

٧٩ ----- مؤمن آل فرعون

٨٣ ----- نصيحة الرجل

٨٧ ----- زوج فرعون

٩٢ ----- محنة بنى إسرائيل

٩٥ ----- المجاعات

صفحة

٩٩ - - - - - خمس آيات

١٠٤ - - - - - الخروج

١٠٨ - - - - - غرق فرعون

١١٢ - - - - - في البريه

١١٥ - - - - - كفران بنى إسرائيل

١١٨ - - - - - عناد بنى إسرائيل

١٢٠ - - - - - البقرة

١٢٤ - - - - - الشريعة

١٢٩ - - - - - التوراة

١٣٣ - - - - - العجل

١٣٦ - - - - - العقاب

١٤٠ - - - - - جبن بنى إسرائيل

صفحة

١٤٤ في سبيل العلم

١٥٠ التأويل

١٥٢ بنو إسرائيل بعد موسى



عربی زبان و ادب کی تحصیل سینے نایہ العلماء لکھنؤ کا مکمل و مفید نسخہ

۱۔	قصص النبیین	اول (عربی)	مولانا سید ابوالحسن ندوی
۲۔	" "	ثانی (")	" " "
۳۔	" "	ثالث (")	" " "
۴۔	" "	رابع (")	" " "
۵۔	" "	خامس (")	" " "
۶۔	القرآۃ الراشدہ	اول (عربی)	مولانا سید ابوالحسن ندوی
۷۔	" "	ثانی (")	" " "
۸۔	" "	ثالث (")	" " "
۹۔	مختارات من ادب عرب	اول (")	" " "
۱۰۔	" "	ثانی (")	" " "
۱۱۔	منشورات من ادب العرب	(")	مولانا محمد رابع ندوی
۱۲۔	تمرین النحو		مولانا محمد مصطفیٰ ندوی
۱۳۔	تمرین الصرف		مولانا سعید اللہ ندوی
۱۴۔	معالم الانشاء	اول	مولانا عبد الماجد ندوی
۱۵۔	" "	دوم	" " "
۱۶۔	" "	سوم	مولانا محمد رابع ندوی
۱۷۔	علم التقریف		مولانا سید الرحمن اعظمی ندوی
۱۸۔	تفہیم المنطق		مولانا ڈاکٹر عبد اللہ عباس ندوی
۱۹۔	عربی کے دس سبق		مولانا عبد السلام قدوسی ندوی

ناشر: فضل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام

۱۔ کے۔ ۳ ناظم آباد منیشن، ناظم: دہلی، اچھی، فون ۶۲۱۸۱۴